مكتبة

إطـو صَتشِـؤ

زهرة الأقحوان البرية

أدب مترجم
كلاسيكي

ترجمة
د. ماهر الشربيني

المحروسة

زهرة الأقحوان البرية

إِطُو صَتْشِؤ

انضم لـ مكتبة .. امسح الكود

انقر هنا .. اتبع الرابط!



عنوان الكتاب: زهرة الأقحوان البرية [illegible]

المؤلف: إطُو صَتْشِوْ [illegible]

ترجمة: د. ماهر الشربيني

مراجعة لغوية: شرين يونس

إخراج داخلي: رشا عبدالله

المحروسة

قطعة رقم 7399 ش 28 من ش 9 - المقطم - القاهرة

ت، ف:- 002 02 28432157

mahrousaeg
almahrosacenter
almahrosacenter
www.mahrousaeg.com
info@mahrousaeg.com
mahrosacenter@gmail.com

رئيس مجلس الإدارة: فريد زهران

مدير النشر: عبدالله صقر

رقم الإيداع: ٤٨٠٤/ ٢٠٢٣

الترقيم الدولي: 2-961-313-977-978

نوڤلا



زهرة الأقحوان البرية

إطُو صَتْشِؤ

ترجمة

د. ماهر الشربيني

الطبعة الأولى 2023





بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد إدارة الشئون الفنية

إطُو صَتْشِوْ

زهرة الأقحوان البرية/ إطُو صَتْشِوْ؛ ترجمة: ماهر الشربيني.-ط1

القاهرة: مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات، 2023

80 ص؛ 21.5×14.5 سم

تدمك 2-961-313-977-978

1 -القصص اليابانية

أ- الشربيني، ماهر (مترجم)

ب- العنوان

895.63

رقم الإيداع 2023/4804



مقدمة المترجم

هذه الرواية جديدة للعرب الذين يحبون الأدب الياباني بصفة خاصة، ولمن يهتم بمعرفة الثقافة اليابانية والمجتمع الياباني وعاداتهم وتقاليدهم بصفة عامة، وللعربي المهتم بمعرفة أدبه؛ فلن يعرف ذلك إلا إذا قارنه بأدبٍ أجنبي آخر مثل الأدب الياباني، وللمتخصصين من طلاب اللغة اليابانية؛ سواء لزيادة ثقافتهم عن اليابان أو للترجمة، وذلك بمقارنة النص الياباني بالنص العربي، وللكتَّاب والمؤلفين الذين يرغبون في معرفة الموضوعات التي يتناولها المؤلفون اليابانيون وأسلوبهم في السرد. كما أنها توجِّه نصائح مهمة جدًا إلى أولياء الأمور والمجتمع حول كيفية التعامل مع الفتى والفتاة، ويمكن تمصير أو تعريب القصة وتحويلها إلى فيلم أو مسرحية. وعمومًا قراءة قصة يابانية مترجمة إلى العربية فرصة ذهبية للقارئ العربي، لأن عدد مترجمي اللغة اليابانية قليلون، وعليه فإن الأعمال التي تُترجم كل عام إلى اللغة العربية، لا تزيد على أصابع اليد الواحدة، وتنفد طبعاتها بسرعة.

تتحدث الرواية عن قصة حبٍّ بين فتى وفتاة تواجه مشكلات مع المجتمع بسبب العادات والتقاليد.

وهي من الشهرة بحيث إنه لا يوجد ياباني لا يعرفها، ربما تكون أشهر قصة حبٍّ منذ نشرها عام 1906 إلى الآن، وأعيد نشرها مراتٍ لا حصر لها، وعلى قدر ما استطعت من بحث، وإن كان بحثًا ليس كافيًا: بالنسبة إلى النشر الورقي، نشرت ما لا يقل عن عشر دور نشر الرواية، آخرها طبعة مزوَّدة بصورٍ توضيحية للأطفال عام 2009. ولا توجد إحصائية دقيقة عن عدد الطبعات، لكنها وصلت إلى عدة ملايين. كما تم تحويل القصة إلى أفلام أنتجتها شركات سينما مختلفة، وذلك عام 1955 وعام 1966 وعام 1981، وقامت المغنية الشهيرة "مَتْسُضَ سِيقُ/"ببطولة فيلم عنها عام 1981، وأيضًا تحوَّلت الرواية إلى مسرحيات وعُرِضت في أعوام 1983، 2001، 2003، 2005، 2007، 2009، على مسارح مختلفة، كما عُرِضت كمسرحية غنائية عامي 2008، 2009، وكذلك حُوِّلت إلى مسلسلات تلفزيونية وأنتجتها شركات مختلفة، في أعوام 1959، 1961، 1963، 1965، 1973، 1975، 1977، 1993، 1994، كما حُوِّلت إلى مانجا، وإلى أنمي، وقصص صوتية، وقصص إلكترونية. وخلاصة القول أنها من الأعمال الخالدة التي سوف يستمر إنتاجها. ولتقريب الفكرة، ربما تكون بمثل شهرة قصة عنتر وعبلة، أو قصة love Story، ولكن المحتوى يختلف.

أهم شخصيات الرواية

"طَمِ" بطلة الرواية، وهي فتاة في سن الخامسة عشرة وعدة أشهر، ولكن سنها في الأوراق الرسمية سبعة عشر عامًا وعدة أشهر.

"مَصَ" بطل الرواية، وهو فتى في سن الثالثة عشرة وعدة أشهر، ولكن سنَّه في الأوراق الرسمية خمسة عشر عامًا وعدة أشهر.

"أُمَسُ" الخادمة التي تعمل في منزل بطل القصة.

"طُمُرً" اسم عائلة البطلة.

"صَيْطُوْ" اسم عائلة البطل.

أهم أماكن أحداث الرواية

تقع أحداث القصة في اليابان وخاصة في الأماكن التالية:

"يَكِـرِ" اسـم مـكان معديـة عـلى ضفـة النهـر الغـربي لنهـر "إِضُغَـوَ" يمـرُّ بالقـرب مـن قريـة بطـل الروايـة، وهـو مـكان رسـو قـارب يحمـل مـن يريـد الذهـاب إلى القريـة مـن الناحيـة الغربيـة إلى الناحيـة الشرقيـة حيـث توجـد القريـة. وفي الوقـت ذاتـه هـو اسـم القريـة التـي تـدور فيهـا الأحـداث، وتلـك القريـة تقـع في الناحيـة الشرقيـة للنهـر، عـلى خـط مسـتقيم مـن المعديـة، وهـي قريبـة مـن المعديـة، والأغلـب أن اسـم المعديـة جـاء مـن اسـم القريـة.

"إِتْشِـكَوَ" المدينـة التـي يقـع فيهـا منـزل البطلـة وتبعـد قليـلًا عـن قريـة البطـل.

"مَتْسُضُ" مدينة كبيرة تبعد عن قرية البطل نحو ثمانية كيلومترات.

"تْشِـبَ" اسـم المحافظـة التـي دارت فيهـا أحـداث القصـة، وهـي محافظـة قريبـة مـن طوكيـو، وتقـع في ناحيتهـا الشرقيـة.

عندما يأتي ذلك اليوم من كل عامٍ، لا أستطيع بكل الطرق منع نفسي عن التفكير في ما حدث. كنّا صغارًا وقتها، ورغم أن ذلك اليوم صار صفحة قديمة من صفحات الماضي؛ حيث مرَّ عليه ما يزيد على عشرة أعوام، مما جعلني قد نسيتُ جميع التفاصيل الصغيرة لتلك الفترة، فإنني ما زلتُ أتذكر أحداث تلك الليلة بالتحديد، أتذكرها كأنها وقعت أمس، ويبكي قلبي من دون توقف كل عام في ذكراها، ومثلما مررتُ في تلك الفترة ببعض الأحداث المحزنة، مررتُ أيضًا ببعض الأحداث السعيدة، ولا أنكر أنني أحاول النسيان، ولكن من دون رغبة مني، أجدني أفكر باستمرارٍ في تلك القصة، أفكر مرارًا وتكرارًا من دون توقف، بل أشتاق إليها وأهيم بها في خيالي؛ وهذه المشاعر هي التي دفعتني، إلى التفكير في تدوين ما حدث.

تقع قريتي فوق هضبة منخفضة، تبعد عن مدينة "مَتْسُضُ" بثمانية كيلومترات فقط، وتُسمَّى قرية "يَكِرِ"، لأنها تقع على الضفة الشرقية للنهر، بالقرب من معدية قوارب تُسمَّى بنفس الاسم، وأما منزلي، فهو معروف في كل القرية، لو سألت عن منزل السيد "صَيْطُوُ"، سوف يشيرون إليه ويقولون "إنه ذلك المنزل القديم الكائن هناك"، وقد سمعت من جدي لأمي، أن عشيرتهم التي تُدعى "صَطُمِ"، وهي عشيرة ذات مجدٍ وتاريخٍ، قد هُزمت في إحدى الحروب، فنزح عدة أشخاص منهم إلى هنا وعملوا في الزراعة، وكان أحدهم هو السيد "صَيْطُوُ". وفي الناحية الغربية لقاعة استقبال الضيوف، توجد ست

أشجارٍ ضخمة من أشجار الكستناء تلتفُّ حول بعضها، وتلك الأشجار تحتل مساحة نحو خمسة وأربعين مترًا مربعًا، وتكوِّن حاجزًا يحمي منزلنا من مخاطر الرياح العاتية وما يصاحبها من أمطار، إنها لفيفٌ من الأشجار لا مثيل له في القرية، مما جعل أهل القرية جميعًا يحسدوننا عليها. ويُقال إنه بفضل لفيف الأشجار هذا، منزلي هو الوحيد الذي لم يتحطم سقفه أبدًا منذ القدم بسبب الرياح، مهما كانت تلك الرياح مُدمِّرة، رغم أن المنزل وما حوله قديم جدًّا، وأعمدة المنزل جميعها من أشجار الكستناء. وبسبب الأدخنة الناتجة عن إشعال فرن البار وما يصاحبها من ترسُّبات في كل مكانٍ، باتت أسقف الغرف جميعها سوداء ولزجة كأنها مطلية بلون زيتي أسود، لدرجة أنك لا تستطيع بالنظر تمييز نوع الأخشاب المستخدَمة في بناء السقف، كما أن المنزل ذو سقفٍ مرتفعٍ مقارنة ببقية المنازل العادية، وفي الأماكن المرتفعة توجد فتحاتٌ للتهوية، وتوضع فوق المسامير التي تُستخدَم في تثبيت أخشاب المنزل حُلي مصنوعة من الفضة كي تخفيها وتجمِّل مظهر المنزل من الداخل، وليس هذا فقط، بل تلك الحُلي على شكل إوز ضخم الحجم، وطبعًا بمجرد النظر إليها لن تستطيع أن تميز إذا كانت مصنوعة من المعدن أم الخشب، بسبب أنها قديمة جدًّا.

ويُقال إن هذا المنزل القديم قد شُيِّد في عصر الحروب الأهلية التي دارت منذ عدة قرون، وإن مَن شيَّدوه، هم أجدادي من ناحية أمي، ولذلك فإن أمي تفتخر به دائمًا. ومنذ فترة طويلة تعاني أمي من أمراض خاصة بالدورة الدموية مما جعلها تستخدم الحجرة المظلمة القابعة في آخر ركن في المنزل كحجرة للنوم، وفي الركن الغربي لتلك الحجرة ومساحته قرابة ثمانية أمتار مربعة، توجد حجرة صغير مساحتها نحو ثلاثة ونصف متر مربع، تستخدمها أمي عندما أكون خارج المنزل كحجرة لحياكة الملابس بالماكينة، ولكن عندما أكون في

المنـزل أسـتخدمها كحجـرة للمذاكـرة، وعندمـا أخـرج رأسي مـن نافـذة تلـك الحجـرة، أجـد أشـجار كسـتناء تعـوق مشـاهدة السـماء في الناحيـة الشـمالية مـن المنـزل.

وبمـا أن أمـي مريضـة وتشـعر بـدوارٍ، ومرضهـا مسـتمرٌّ منـذ فـترة، فقـد جـاءت إلينـا مـن أقاربنـا المقيمـين في مدينـة "إتْشِـكَوَ"، فتـاة اسـمها "طَـمِ" وهـي ابنـة خالتـي، كي تراعيهـا وتسـاعدها في أعـمال المنـزل، ومـا لا أسـتطيع نسـيانه حتـى الآن هـو العلاقـة التـي كانـت بينـي وبـين "طَـمِ"، ولا أقصـد أنهـا كانـت علاقـة غـير لائقـة.

كنـتُ وقتهـا، قـد تخرجـت في المدرسـة الابتدائيـة، وكان عمـري في الأوراق الرسـمية خمسـة عـشر عامًـا وعـدة أشـهر، رغـم أن عمـري الحقيقـي كان ثلاثـة عـشر عامًا وعـدة أشـهر[1] وأمـا "طَـمِ"، فكانـت أكـبر مـن عمـري الحقيقـي بعامـين وكذلـك في الأوراق الرسـمية.

كانـت "طَـمِ" نحيفـة القـوام جـدًا، ولكـن وجههـا دائـري الشـكل، وبشرتهـا بيضـاء وصافيـة، يكسـوها لـونٌ أحمـر وردي. في الحقيقـة كانـت فتـاة جميلـة، تشـع ضـوءًا ولمعانًـا وانبهـارًا، دائمًـا تتحـرك هنـا وهنـاك بخفـة وحيويـة ونشـاط، ولم أجـد لهـا أي عـادات سـيئة، تجعلنـي أبغضهـا حتـى ولـو قليـلًا.

كانـت علاقتـي بهـا جيـدة، فأحيانًـا عندمـا تـأتي لتنظـف حجـرة المذاكـرة، تدخـل وتنظـر إلى مـا أفعـل، وأحيانًـا تـأتي كي تزيـل الأتربـة عـن النافـذة، ثـم تقـول: أريـد أن أتعلـم القـراءة والكتابـة، وأحيانًـا توكـزني بيـد المنفضـة في ظهـري، وتجذبنـي مـن أذني ثـم تفـر هاربـة مـن الحجـرة. وكنـت عندمـا أراهـا تمـر في المنـزل، أناديهـا كي تـأتي إلى حجـرة المذاكـرة، فقـد كان اللعـب معهـا ممتعًـا، بـل كان أكـثر متعـة مـن أي شيء آخـر.

---

(1) طبيعـة القانـون اليابـاني الخـاص بالمواليـد وقتهـا، حيـث إنهـم كانـوا يحتسـبون شـهور الحمـل

وكانت دائمًا تُعَنِّف من قِبَل أمي:

"أنـت دخلـتِ حجـرة ابنـي مَـصّ مـرة أخـرى! انتهـي مـن النظافـة بسرعـة وأخرجي، لا يجـب أن تكـوني عقبـة تشـغله عـن مذاكرتـه، مفـترض أن تفهمـي ذلـك مـن نفسـك، لأنـك أكـبر منـه سـنًّا".

وكانـت أمـي دائمًـا تظهـر ضيقهـا مـن إشـغال "طَـمِ" لي عـن مذاكرتي، رغـم أنهـا كانـت تحبهـا حبًـا جـمًا، مـما جعـل "طَـمِ" لا تنفـذ مـا تقولـه أمـي، وكانـت أحيانًـا تطلـب منـي بالحـاحٍ أن أعلّمهـا كيـف تكتـب، وطبعًـا رد فعـل أمـي عـلى ذلـك كان معروفًـا:

"ليـس مهـمًا أن تتعلمـي الكتابـة، المهـم أن تتعلمـي الحياكـة، وإن لم تتعلميهـا جيـدًا، فلـن ينظـر إليـك النـاس بتقديرٍ، ولن تسـتطيعي الـزواج".

في ذلـك الوقـت، لم أكـن أفكـر في القيـام بـأي تصرفـات غـير لائقـة معهـا، وطبعًـا لم تكـن "طَـمِ" أيضًـا تفكـر في ذلـك، واسـتمرت أمـي في إظهـار التذمـر منهـا، ولكـن "طَـمِ" اسـتمرت في دعـوتي إلى الإفطـار أو الغـداء، وفي كل مـرة تـأتي كانـت تـسرع بالدخـول إلى حجـرتي، وتقـول لي:

"أرني كتبك، أعطني قلمك كي أكتب".

هكـذا كنّـا نلهـو لبعـض الوقـت، وكانـت بعـد أن تذهـب إلى حجـرة أمـي كي تعطيهـا الـدواء، أو تقـضي لهـا مـا تحتـاج إليـه، بالطبـع تمـرُّ عـلى حجـرة مذاكـرتي، وكنـت أشـعر بالوحـدة في اليـوم الـذي لا أشـاهدها فيـه، وبـأن شـيئًا مـا ينقصنـي، وكنـت أناجـي نفـسي قائـلًا: "يـا تُـرى مـاذا تفعلـين اليـوم يـا طَـمِ؟".

ثـم أذهـب إلى حجـرة مذاكـرتي وأنـا في حالـة مزاجيـة سـيئة، ولم يكـن عنـدي الجـرأة الكافيـة كي أذهـب إلى حجرتهـا لمقابلتهـا، وعندمـا كانـت

سـنة كاملـة، وعندمـا يمـر أول يـوم رأس سـنة عـلى المولـود يزيـد عمـره سـنة أخـرى، ليصبـح عمـره سـنتان في الأوراق الرسـمية بينـما هـو لم يبلـغ إلا عـدة أشـهر.

عيني تلمحها في المنزل هنا أو هناك، كنت أشعر بالراحة، وأحيانًا كنت أمزح مع نفسي وأقول: "ماذا حدث! ألم تأت إلى هنا كي تقابلها؟".

وأحيانًا تأتي فتيات الجيران ويدعونها إلى الذهاب معهن إلى أحد المنازل التي جاءت إليها غازية للرقص والغناء، أو للذهاب معهن إلى الاحتفالات؛ حيث يستمعن إلى الشعر، أو الصلاة الجماعية أو مناسبات أخرى شبيهة، ولكنها كانت تختلق الأعذار دائمًا كي لا تخرج من المنزل أبدًا، وأحيانًا تُدعى إلى الذهاب إلى احتفال القرية المجاورة، ومشاهدة الألعاب النارية والزينة التي تغطي المكان، أو الذهاب إلى الناحية الأخرى، عند الشاطئ الرملي والجبال حيث يحتشد الناس هناك من أجل المرح، ولكنها كانت تعتذر لهن بحجة أن أمي مريضة، وبالنسبة إليَّ، فأنا كنت أيضًا أكره الذهاب إلى تلك الأماكن، وأحب أن أظل في المنزل. وكانت "طَمِ" بعد أن ترفض دعوة الجيران، تأتي إليَّ في حجرة مذاكرتي وهي تسير على أطراف أصابعها، وتقول لي بصوتٍ خفيضٍ، وهي تضحك في سعادة:

"إن أحلى أوقاتي، هي الأوقات التي أقضيها في منزلكم".

وبالنسبة إليّ، لسببٍ ما لم أكن أعلمه، كنت أتمنى ألّا تذهب إلى تلك الأماكن.

وقد كنت أذهب كل ثلاثة أو أربعة أيام إلى مدينة "مَتْسُضُ" كي أشتري لأمي الدواء، وغالبًا ما كنت أتأخر في العودة إلى وقت غروب الشمس، فكانت تذهب "طَمِ" عدة مرات إلى تلٍّ خلف المنزل وتصعد إلى أعلاه، كي تستطيع التطلع إلى مرسى المركب الذي أعود به، وكان أخي الأكبر وزوجته يعيشان معنا في المنزل حينها، فكانا يطلبان منها أن تهدأ، ولكنها كانت تقول لهما:

"إن خالتي قلقة على سلامته، وطلبت مني أن أذهب وأتطلع إلى المرسى كي أعرف إذا كان قد عاد أم لا".

وكانا يضحكان سرًا على ما تفعله.

ولهذا السبب، فإن الخادمة "أُمَسُ" التي تخطَّت سن الزواج، كانت تشعر بالغيرة والكراهية تجاه "طَمِ"، لدرجة أنها لم تكن تحب رؤية وجهها، وكانت تقول دائمًا عنها:

"إنها تذهب فقط إلى أي مكان يوجد فيه مَصَ، فهي ملتصقة به ولا تنفصل عنه أبدًا".

وما قالته الخادمة انتشر، وأصبح إشاعة تتردد في كل مكان قريب من المناطق الجبلية المحيطة بنا وفي منطقة شاطئ النهر، ووصلت هذه الإشاعة إلى أذن زوجة أخي الأكبر، فنقلت ما سمعته إلى أمي وحذَّرتها من العواقب الوخيمة لذلك، وفي أحد الأيام، شاهدتُ أمي وكان وجهها تكسوه ملامح صارمة، وإذا بها تستدعيني وتستدعي "طَمِ" إلى فراشها في حجرة نومها، وقالت لنا بضيقٍ شديدٍ:

"عندما يصل عمر الطفل سواء كان ولدًا أو بنتًا إلى الخامسة عشرة أو السادسة عشرة، يكون قد غادر الطفولة، التقارب الأكثر من المفترض بين الفتاة والفتى في ذلك السن، يجعل الناس تخوض فيما لا يجب الخوض فيه، يجب أن تحذرا من التقارب الأكثر من المفترض، وتحذرا من كلام الناس، وخاصة أنتِ يا طَمِ؛ إنك أكبر من مَصَ سنًا، وما يحدث ليس في صالحك، من الآن فصاعدًا لا يجب أبدًا أن تدخلي حجرته، ابني ما زال طفلًا، ولكن ذلك لا يعني أنني سوف أتغاضى عما يُقال، أنتِ في سن السابعة عشرة، إن أساء الناس إلى سمعتك، فلن تستطيعي الزواج، وأنتَ أيضًا يا مَصَ، يجب أن تكون حذرًا، من الشهر القادم سوف تنتقل للإقامة في مدينة تْشِبَ للالتحاق بالمدرسة المتوسطة هناك".

وهنا تنبَّهت "طَمِ" إلى موضوع أنها أكبر مني سنًا، وأيضًا إلى دخولها المتكرر إلى حجرة مذاكرتي، فتغيَّرت ملامحها فجأة إلى الشعور

بالحرج الشديد، واحمرَّ وجهها ونظرت إلى أسفل، وعندما انتهت أمي من تعنيف "طَمِ" بشدة كعادتها، وضعت "طَمِ" يديها على الأرض وأحنت رأسها ولم تنطق بكلمة كتعبيرٍ عن الاعتذار، وهنا قلتُ بضيقٍ، وأنا لا أشعر بأننا فعلنا ما يشين:

"أمي، إنكِ بالغت فيما قلتِ. بصرف النظر عما قال الناس، فإننا لم نرتكب أي خطأ، إن ما قلتِه الآن، يشير إلى أننا قد ارتكبنا خطأ لا يُغتفَر، إنك دائمًا تقولين إنني وطَمِ في منزلة الإخوة أليس كذلك؟ وتقولين إنك لا تفرقين بيننا في المعاملة، وإننا بالنسبة إليك سواء، وقلت لنا أن نتعامل معًا بطريقة جيدة ونتصادق، أليس هذا ما قلتِه؟".

ومنطقي أن تقلق أمي علينا، ولكننا لم نشعر أبدًا أن أمي تتعمد أن تقول ما يجعلنا نشعر بضيقٍ من دون سببٍ، كما أن ردي عليها بنفي صحة ما يُقال، كان مبنيًا على حجة منطقية، وهنا أظهرت أمي فجأة لينًا، وقالت:

"أنا كأم أعرف أنكما لا ترتكبان أي خطأ، ولكن كلام الناس يُسبِّب المشكلات، لذلك أردت أن أنبِّهكما إلى أخذ الحيطة في تعاملكما معًا، كي لا تعطيا الفرصة للناس للتحدث بالسوء عنكما".

وظهرت في الحال على وجه أمي الشاحب ابتسامة تدل على حبها الحقيقي لنا، وقالت:

"من فضلك يا طَمِ، أحضري لي الدواء، وأكملي حياكة ردائي الجديد اليوم، وأنت يا مَصَ، من فضلك اذهب الآن واقطف بعض الزهور وضعها في زاوية الصلاة على أرواح موتانا، أعتقد أن زهرة الأقحوان لم تتفتح بعد، لذا أقطع بعض زهور النجمة".

ورغم أننا أصحاب الشأن، فإننا كنَّا نتعامل مع بعضنا بتلقائية، ولم نكن منتبهين لنوعية المشاعر التي تنمو بيننا، ولكن ما قيل جعلنا

ننتبه لمشاعرنا ولا نستطيع الاستمرار في علاقتنا الطفولية البريئة. وبالنسبة إليّ، فإنني لم أتذكر كلام أمي وأوامرها بعد ذلك إلا يومًا واحدًا، وبعد مرور عدة أيام سألت نفسي: لماذا لم تحضر "طَمِ" لعدة أيام؟ أما "طَمِ"، فقد لاحظت تغيرًا فجائيًا وكبيرًا في تصرفاتها معي.

لم تعُد تأتي إلى حجرة مذاكرتي أبدًا، وعندما نتقابل بالصدفة في المنزل في أثناء وجود أحد، فإنها نادرًا ما توجه إليّ حديثًا، وإن فعلت فيكون حديثًا مقتضبًا ورسميًا وجافًا، وبمجرد أن تنتهي من حديثها تغادر المكان بسرعة.

وإذا اضطرَّت إلى توجيه حديثها إليّ، لا تتحدث بالطريقة التي كانت تتحدث إليّ بها، فسابقًا لم تكن تضع بيني وبينها أي حواجز، ولكن الآن تتحدث إليّ بأسلوب رسمي مستخدمة الكلمات التي تدل على الاحترام والتبجيل، وأحيانًا كنت أضحك على ما تقوله من كلمات تعظيم لي، وحينئذٍ تقوم هي بمداراة ضحكاتها بوضع كم ردائها على وجهها وتترك المكان سريعًا، المهم أن هناك حاجزًا أعاق ما بيننا.

ومع ذلك في أحد الأيام، وكانت الساعة قد تخطت الرابعة عصرًا، قالت لي أمي أن أذهب إلى الجبل القابع ناحية الجهة الخلفية للمنزل، حيث يوجد هناك الحقل، فأجمع منه بعض الباذنجان، فذهبت، وبينما أعمل فوجئت بـ "طَمِ" تأتي من خلفي حاملة سلة وتناديني وهي مبتسمة:

"يا سيد مَصَ".

ثم قالت بحماسٍ، ويبدو عليها سعادة غامرة:

"لقد قالت لي خالتي أن أحضر أيضًا لجمع الباذنجان، لأن أكتافي أصابها إجهاد بسبب العمل في حياكة ثوبها الجديد، فقالت لي أن أستريح من الحياكة، وبدلًا من ذلك أحضر لجمع الباذنجان، ولأننا

سـوف نسـتخدم الباذنجـان في عمـل مخلـلات في صبـاح الغـد، فجئـت جريًـا كي ننجـز الجمـع".

فقلت لها:

"حسـنًا، وهـل هـذا يعنـي أنـك كنـت لا تعلمـين أننـي سـبقتك في الحضـور إلى هنـا؟".

فإذا بها ترد قائلة:

"نعم، لم أعرف".

ثم بدأت في جمع الباذنجان وهي تبتسم.

وعندمـا نذهـب إلى حقـل الباذنجـان، نمـرُّ مـن خـلال لفيـف أشـجار الكسـتناء ونعـبر منطقـة مليئـة بنباتـات الغـاب، ثـم نتجـه ناحيـة الشـمال الغـربي فنصـل إلى حقـول الخـضراوات، فنجـد داخلها حقـل الباذنجـان، وبما أن منطقـة الحقـول هـذه تقـع فـوق جـرف، نسـتطيع رؤيـة كامـل المنطقة الواقعـة بـين نهـر "طُنِغَـوَ" ونهـر "نَكَغَـوَ"، والمسـماة بمنطقـة "مُصَـشِ"، ولكـن ليـس بوضـوحٍ تـامٍّ، ويمكـن رؤيـة الجبـال "أَشِـغَرَ"، الممتـدة عـلى منطقـة "هَقُنِيْـه"، وقمـة جبـل فوجـي، وأيضًـا يمكـن رؤيـة غابـات، وغالبًـا هـي غابـات منطقـة "أُوِيـنُ" بطوكيـو. كنّـا في فصـل الخريـف، وكانـت السـاعة نحـو الواحـدة والنصـف بعـد الظهـر والسـماء صافيـة تمامًـا كالمـاء الصـافي، وأشـعة الشـمس تـضرب منتصـف حقـل الباذنجـان بشـدة، فينعكـس الضـوء علينـا ونحـن واقفـان نجمـع الباذنجـان، وكان السـكون الشـديد يخيـم عـلى المـكان، كأننـا في لوحـة لمنظـرٍ طبيعـي ونحـن نقـف في وسـط ذلـك المشـهد.

وهنا توقفت "طَمِ" عن جمع الباذنجان، وقالت:

"يا له من منظرٍ بديعٍ".

حينها وددت لو أعترف لها بما في قلبي، ولكني الآن بالتأكيد لست أنا الذي كان قبل عشرة أيام، لم نعد أبدًا صديقين يعامل أحدهما الآخر على سجيته كأطفالٍ، لقد نما بداخلنا شعورٌ ما في وقت ما دون أن نعي به، ولم أكن أعلم أبدًا ما هذا الشعور، ولا حتى فكرت في كينونته، ولكن بالتأكيد منذ عنفتني أمي وأمرتني بالابتعاد عنها، بدأ ينمو في صدري بذور حبٍّ صغيرٍ تجاهها، وتغيَّرت فجأة حالتي الشعورية، وهذه حقيقة لا يمكن إخفاؤها، والدليل على هذا، أن اليوم، هو أول يوم ينبت في نفسي شعورٌ مختلفٌ تجاهها، شعرت أنها أنثى.

وعندما كانت "طَمِ" بجانبي منحنية تجمع ثمار الباذنجان، أمعنت النظر في وجهها من الجانب، فلاحظت ولأول مرة أنها جميلة وأن جمالها أخاذ، وتعجبت من نفسي أنني لم ألاحظ ذلك سابقًا، ولكني اليوم شعرت من أعماقي بأنها جميلة، واستحوذ ذلك الشعور على كل جزء من روحي وجسدي؛ شعرها اللامع ينساب على جانب وجهها الناعم، ووجنتها الممتلئة تشع نورًا وضياء وحيوية، ورباط جميل يربط بين طرفي القبعة يحيط بذقنها، وما أجمل ياقة الرداء الداخلي ذات اللون البنفسجي التي تحيط برقبتها، والحزام المطبوع عليه أشكال الزهور. توقفت عيني على كل هذه التفصيلات تتفحصها بدقة، فتنبهت إلى أنها جميلة، ما أجملها، وحينئذٍ حدث شيء مرعب لم أتوقع حدوثه، أريد أن أعترف إليها بحبي، ولكني لم أستطع إيجاد الكلمات التي تدل على ذلك، شعرت بالخجل، وعدم القدرة على الكلام بينما أتأمل في وجهها، من المؤكد أن ذلك حدث بسبب ما نبت في داخلي من بذور الحب.

ولحدوث حاجز بيني وبينها خلال آخر عشرة أيام، أدى إلى أننا لم نستطع تبادل الحديث بأريحية، وطبعًا هذا شيء لم يكن أبدًا

في الحسـبان قبـل عـشرة أيـام، فشـعرت أننـي يجـب أن أتحـدث إليهـا، فناديتهـا بتلقائيـة قائـلًا:

"آنسة طَمِ".

ولكـن بتلقائيـة أيضًـا لم يخـرج مـن فمـي بعـد ذلـك أي كلـمات، تلعثمـت، ثـم توقفـت حنجـرتي عـن إخـراج أي صـوت، فوقفـت "طَـمِ" ممسـكة بثمـرة باذنجـان وقالـت: مكتبة سُر مَن قرأ

"ماذا يا سيد مَصَ؟".

"لا شيء، ولكـن أنـت تغـيرتِ في الفـترة الماضيـة، يبـدو عليـك أنـك كرهتِنـي تمامًـا".

وبما أنهـا أنثـى، فكانـت سريعـة الإدراك لمـا أقصـد، فبـدا الحـزن عـلى وجههـا، وعـلى الفـور جـاءت إلى جـواري، ثـم قالـت:

"كلامـك قـاسٍ يـا سـيد مَـصَ، منـذ متـى وأنـا أضـع بينـي وبينـك حواجـز!".

"مـاذا! أنـت تغـيرت تمامًـا خـلال الفـترة الماضيـة، يبـدو أننـي لم أعـد مهـمًّا بالنسـبه إليـك، وكلامـك هـذا لا يعنـي أننـي أهاجمـك".

فقالت "طَمِ" بانفعالٍ:

"أنـت تقسـو عـليَّ بكلامـك هـذا، مسـتحيل أن أضـع بينـي وبينـك حواجـز، ألم تسـتدعِنا خالتـي ووبَّختنـا بشـدة! أنت ولـد، يمكنـك أن تأخـذ الأمـور بطريقـة عاديـة، ولـن تشـعر بمـا أشـعر بـه، أنـا أكـبر منـك سـنًّا، غـير أننـي فتـاة، لذلـك عندمـا سـمعت كلامهـا شـعرت بجـرحٍ شـديدٍ يمـس كرامتـي وكبريـائي، فأصبحـتُ حريصـة بشـدة عـلى التعامـل معـك بحـذرٍ، والآن تقـول لي إننـي وضعـت حواجـز بيننـا لأننـي كرهتـك! كلامـك هـذا أغضبني".

ثـم حدقـت إلى وجهـي طويـلًا والدمـوع في عينيهـا، أمـا أنـا فقـد قلـت مـا قلـت بهـدف فتـح حـوار معهـا لتبـادل الحديـث، ولكـن عندمـا شـاهدت الدمـوع في عينيهـا شـعرت تجاههـا بالشـفقة، فقلـت:

"لم أقـل ذلـك لأني غضبـت منـك، والغريـب أنـك أنـت التـي شـعرتِ بالغضـب، أنـا فقـط أردتُ توضيـح أنـك تغـيرت مـن ناحيتـي ولا تتحدثـين إليَّ عندمـا نتقابـل ولا تأتـين للعـب معـي، مـما أصابنـي بالوحـدة والحـزن، لذلـك أدعـوك إلى الحضـور إلى حجـرة مذاكـرتي مـن حـين إلى آخـر لنلعـب معًـا، تجاهـلي تعنيـف أمـي لـك، وتجاهـلي كلام النـاس، كلامهـم لا يهـم عـلى أي حال".

شـعرت أن مـا قلتُـه لهـا كلام غـير مسـؤول، لا يقولـه إلا الأطفـال الحالمـون، وعندمـا سـمعت "طَـمِ" ذلـك، بـدا عليهـا أن صراعًـا بـين القلـق والفرحـة بـدأ يـدور في داخلهـا، فبـدا عليهـا القلـق تـارة، والفرحـة تـارة أخـرى، واسـتمرت مشـاعر الفرحـة والقلـق تتصـارع، تظهـر وتختفـي، وفي النهايـة فـازت مشـاعر الفرحـة، وبعـد تبـادل عـدة كلـمات انقشـعت السـحابة التـي كانـت تغطـي وجههـا، وعـاد صافيًـا ونـضرًا كـما كان، وعـادت إليهـا حيويتهـا، وأمـا أنـا فقـد امتـلأ قلبـي فرحًـا، وشـعرنا نحـن الاثنـان، أننـا وحدنـا داخـل هـذا الكـون، وبعـد برهـة بدأنـا في جمـع الباذنجـان مـرة أخـرى، كان الحقـل كبـيرًا، ورغـم ذلـك كنَّـا قـد تخطينـا منتصـف شـهر أكتوبـر، وكانـت ثمـار الباذنجـان متفرقـة في أماكـن كثـيرة هنـا وهنـاك، وليسـت متراصـة بجانـب بعضهـا، مـما جعلنـا ننتهـي مـن مِـلء السـلَّتين بعـد عنـاء.

قالت طَمِ: "انظر يا سيد مَصَ، مشهد غروب الشمس مذهل".

ثـم فجـأة خلعـت قبعتهـا ووضعتهـا عـلى الأرض، ووضعـت كلتـا يديهـا تحـت أنفهـا وبـدأت في الصـلاة. وتغـير لـون الناحيـة الغربيـة مـن السـماء إلى لـون أرجـواني خفيـف، ولكنـه ضبـابي غـير واضـحٍ، وكانـت الشـمس

الحمراء لا يخرج منها أشعة واختفى نصفها خلف الجبل. ظلَّت "طَمِ" تصلي بخشوعٍ، وظللتُ أنظر إليها بحبٍّ.

سرنا في طريق العودة ونحن نتحدث بطريقة عادية كما كنَّا من قبل، وعندما مررنا أمام الأبواب الخلفية للمنازل، وجدنا الخادمة "أُمَسُ"، تقف أمام سور المنزل الرابع وتوجِّه نظرها ناحيتنا، فقالت "طَمِ" لي بصوتٍ منخفضٍ:

"من المؤكد أنها سوف تتكلم عنَّا كما فعلت سابقًا".

"دعيها تفعل ما تريد، لا أهمية للتفكير فيما تقول؛ أمي هي التي أمرتنا بالذهاب إلى جمع الباذنجان".

ومع كل عقبة كانت تواجهنا، تتكاثر بذور الحب الذي نما في قلبينا وربطهما معًا، وتستمر بذوره في النمو كلما تقابلنا، وبالتأكيد أن وقت غروب ذلك اليوم كان فرصة لنمو تلك البذور أكثر، وكانت إصابة جسدينا برعشة حينها دليلًا على ذلك، ورغم أن الناس كانوا يروننا معًا، فإننا لم نرتكب ما يجعلهم ينظرون إلينا باحتقارٍ، ولا نفعل ما يجعلنا نشعر بالندم، ولذلك لم نشعر بعواقب ما نفعل، ولم نفكر كثيرًا في إخفاء مشاعرنا البريئة أمام الناس، ولو انتهت علاقتنا عند هذا الحد، لما كنت ظللت أتذكرها طوال عشر سنوات.

أما أمي، فهي مثل كل أم، ابنها بالنسبة إليها طفلٌ لا يكبر، حتى وإن كبر، وما حدث بعد ذلك، أن "طَمِ" كانت تأتي إلى حجرة مذاكرتي، ولكنها كانت حريصة ألا يراها أحدٌ من أهل المنزل وهي تأتي، فكانت تتسلل في غفلة من الجميع، ورغم ذلك عندما تكون في حجرة مذاكرتي، لا تشعر بالطمأنينة أبدًا، بل كانت قلقة دائمًا، وقد اعتقدتُ أننا عُنِّفنا سابقًا، وأن هذا كان موقفًا وانتهى، ولا ضرر أن تأتي إلى حجرتي بعد ذلك، ولكني كنت مخطئًا، لقد كان واضحًا أن حالتنا المزاجية تغيرت لعدة أيام، واتضح تأثير ذلك عليَّ بشدة، لقد

قلت لها منذ ثلاثة أيام كلامًا غبيًا، عندما طلبت أن تأتي لنتسامر في حجرتي، قلت: إذا غضبت أمي من حضورها إليّ سوف أتحمَّل أنا عاقبة الأمر، ولكني تيقنت من خطئي بعد ذلك عندما كانت تمكث معي مدة طويلة، كنت أشعر بقلقٍ لا أستطيع تجاهله، فأقول لها:

"يا آنسة طَمِ، اذهبي الآن وعودي في وقتٍ آخر، مكوثك هنا مدة طويلة، سوف يجعل البعض يتحدث بسوء عنَّا".

ورغم أنها كانت تعي ما وراء كلامي هذا، كانت تسألني بدهشة:

"ماذا! هل تتذكر ما قلته منذ عدة أيام! لقد قلت لا تهتمي بكلام الناس، يقولون ما يحلو لهم، تعاليْ إلى حجرة مذاكرتي كي نتسامر، ألم تقل ذلك! هذا ما جعلني لا أعبأ بكلام الناس، حتى ولو كان سخرية مني".

شعرت أننا في ورطة، كلما تقاربنا، زادت مخاوفنا من كلام الناس، مما جعلنا نشعر أننا نرتكب فاحشة، وقد قالت أمي عندما يصل الأطفال سواء ولد أو بنت إلى سن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة لا يصبحون أطفالًا، ولكن هذا مجرد كلام نظري، أما من ناحية المشاعر، في الواقع ما يزال الولد أو البنت اللذان وصلوا إلى ذلك السن، أطفالًا تمامًا، ومنذ ذلك الوقت، عندما تدخل "طَمِ" إلى حجرتي وتشاهدني أقرأ كتابًا أو أتحدث إلى أحدٍ، تمرُّ وهي تنظر أمامها، وتتجاهل وجودي، وفي الواقع ما ذكرته لها منذ عدة أيام بأن لا تطيل المكوث في حجرة مذاكرتي، لم يكن نابعًا من داخلي، ولكن بناء على ما قالته زوجة أخي الأكبر. طبعًا أمي قالت الكلام نفسه سابقًا، ولكن أخي الأكبر وزوجته والخادمة "أُمَسُ" يغتابوننا، بل يسخرون منَّا، وانتشرت الأحاديث عنَّا في القرية، وقالوا رغم أن "طَمِ" أكبر مني بعامين، فإننا ننوي الزواج، وانتقلت إلينا تفاصيل نميمتهم علينا، فتناقشت معها

بخصوص ذلك الأمر، واقترحت عليها أن نبتعد عن بعضنا لفترة، فوافقت، واتخذنا قرارًا بذلك.

مشاعر الإنسان شيء غريب وعجيب، نحن لم نتباعد بناء على قرار أحادي من دون علم وموافقة الآخر، بل تباعدنا بناء على نقاش وقرار اتخذناه معًا، وكنت أنا مَن اقترح الفكرة، ولكنها أذعنت في صمتٍ وفقدت حيويتها وحزنت، وعندما شاهدتها هكذا، شعرت أنا أيضًا بالحزن والشفقة عليها في نفس الوقت، وهكذا كانت مشاعرنا تتقدم إلى الأمام خطوة، وتعود للخلف خطوة، فتعقَّدت الأمور أكثر، وبصرف النظر عن ذلك كله، فقد قضينا أربعة أو خمسة أيام متباعدين تمامًا ولكننا لم نكن كذلك في داخلنا.

وجاء يوم الثالث عشر من الشهر التاسع بالتقويم القمري، وهو يوم يكون في ليلته القمر مستديرًا وجميلًا، لذلك يحتفل الناس بمشاهدة القمر وتناول حبوب الفول الأخضر، وأشرقت الشمس في صباح ذلك اليوم، وكان الجو باردًا لدرجة ما ومليئًا بالندى الناتج عن الضباب، وعوضًا عن ذلك كانت السماء صافية. وكان الاحتفال السنوي لقريتنا يوم الخامس عشر من الشهر ذاته، وعليه فقد كان الغد هو يوم الليلة الكبيرة السابقة للاحتفال، وكنّا قد اعتدنا أن يشترك جميع أفراد الأسرة في القيام بأعمال الحقل، لذلك نحدد ما سوف يقوم به كل فرد سابقًا، وتفاءلت أنا و"طَمِ"، بأن خروجنا للعمل معًا سوف يجلب لنا السعادة، وتحدد أن يقوم أخي الأكبر وزوجته والخادمة "أُمَسُ" ورجل آخر بقطع أعواد الأرز، على أن ينتهوا من ذلك بسرعة، وتحدد عليّ أنا و"طَمِ" أن نجمع القطن من الحقول الموجودة وسط الجبال، وكان ذلك بأمرٍ من أمي، ولا يستطيع أي شخص الاعتراض على أوامرها.

ومـن المؤكـد أن الخادمـة "أُمَـسُ" التـي تثرثـر مـن دون وعـي بمـا تقول، وزوجـة أخـي الشريرة، قالتـا معًا:

"مـاذا! الأم ترسـل ابنهـا وطَـمِ معًـا إلى وسـط الجبـال! أكيـد هـذا يعنـي أنهـا كأم سـعيدة ومرحبـة بمـا يحدث".

كنّـا أنـا و"طَـمِ" سـعيدين مـن أعـماق قلبينـا بذهابنـا معًـا، ولكننـا نشـعر بالخجـل الشـديد أن يشـاهدنا أحـدٌ ونحـن نذهـب إلى وسـط الجبـال، ومـن الناحيـة الأخلاقيـة والعـادات والتقاليـد، لا نسـتطيع أن نظهـر رغبتنـا في الذهـاب معًـا، لذلـك لم أخـرج مـن حجـرة مذاكـرتي قبـل وقـت تنـاول طعـام الإفطـار، وبـدا عـلى "طَـمِ" أنهـا لم تقـم بعمـل الاسـتعدادات الواجبـة للخـروج، بـل كانـت تسـتخدم الوقـت في القيـام بأعـمالٍ ليسـت ذات أهميـة، مـن المؤكـد أنهـا ستشـعر بالضيـق لقـول زوجـة أخـي والخادمـة "أُمَـسُ" عنـا أنـه يبـدو علينـا الفرحـة لذهابنـا إلى العمـل معًـا. بعـد أن اسـتيقظت أمـي مـن نومهـا وجـاءت إلينـا، قالـت:

"اسـتعد يـا مَـصَ للخـروج، وأنـتِ أيضًـا يـا طَـمِ، اسـتعدي بسرعـة، لـو ذهبتـما معًـا للقيـام بالعمـل، سـوف يسـير بسـهولة وسرعـة، ولكـن الطريـق إلى الحقـول يسـتغرق وقتًـا طويـلًا، ولذلـك إذا لم تسرعـا في الذهـاب لـن تسـتطيعا العـودة إلا في وقـتٍ متأخـرٍ مـن الليـل، وأرجـو أن تجتهـدا في العـودة قبـل غـروب الشـمس، وسـوف تقـوم الخادمـة أُمَـسُ بإعـداد وجبتـي غـداء لكـما، وسـوف تتكـوّن الوجبـة مـن ....".

فعـلًا إنهـا أم لهـا قلـب ينبـض خوفًـا عـلى ابنهـا، وأمـرت الخادمـة أُمَسُ ألا تسـتخدم مكونـات رخيصـة في الوجبـة التـي تعدهـا لــ "طَـمِ"، وقالـت لي أن ارتـدي سروالًا وحـذاءً خفيفًـا وقبعـة كبـيرة مصنوعـة مـن أعـواد القمـح، وقالـت لــ "طَـمِ" أن ترتـدي قفـازات وسروالًا طويـلًا تحـت التنورة، ولكـن "طَـمِ" ارتـدت قفـازات فقـط، ووقفـت مـترددة في ارتـداء السروال، ثـم جـاءت إليَّ وقالـت لا أرى أهميـة لارتـداء السروال، فقلـت لهـا أن

تخبر أمي بذلك، وبينما كنَّا نتحدث استمعت أمي إلى حديثها فقالت باسمة:

"أنتِ من المدينة لذلك لا تريدين ارتداء السروال لأن الفلاحين يرتدونه، ولكني قلت لك أن ترتدي قفازات وسروالًا، لأن يديك وساقيك ناعمتان، وخشيتُ عليكِ أن يصابوا بالجروح بسبب أشواك النباتات وأوراق البوص، ولكن لو لم يرُق لك كلامي، افعلي ما شئتِ".

فاستعدت "طَمِ" للخروج بعد ارتداء مريلة بحزامٍ من الخصر إلى أسفل وصندلًا، وحمل كل منَّا مصفاة كبيرة، وحملت أنا فقط على كتفي سلة كبيرة وميزانًا ثم خرجت، أما "طَمِ" فقد ارتدت قبعة مصنوعة من البوص على شكل مثلث وأطرافها منحنية إلى أسفل، فنادتها أمي وهي تضحك وقالت:

"عندما تمشين مرتدية هذه القبعة، سوف تكون هيئتك مثل ثمرة عيش الغراب، ارتدي قبعة أخرى، يوجد قبعة جديدة في الداخل".

ثم تنبَّهت "طَمِ" إلى أن الجميع قد سبقونا في الخروج، ولم يضحك أحد على ذلك، فخلعت قبعتها واحمرَّ وجهها من الخجل، ثم حملت القبعة، وألقت التحية على أمي وخرجت مسرعة.

ولأن أهل القرية يتحدثون عنَّا بالسوء، شعرنا بالخجل من الخروج والسير معًا، فقررنا أن نخرج من القرية بسرعة، وأن أبدأ أنا بالسير بمفردي وتأتي هي لاحقًا، على أن أنتظرها عند منحدرٍ في نهاية القرية، تحت شجرة "غِنْكُو"، ومن ذلك المكان نستطيع أن نرى في الأسفل بعض حقول الأرز؛ حيث لون الأعواد شديد الاصفرار، والندى يغطي الأنحاء كلها، وأحيانًا لا أتذكر إن كان هذا المشهد حقيقيًّا أم أنني كنت أتخيل، كان المشهد يشرح الصدر ويحثُّ على التفاؤل والحيوية والنشاط، وتنبَّهت فجأة إلى وجود "طَمِ" بجانبي، ولم أشعر بمجيئها،

كانت منحنية تجمع بعض أوراق شجرة فوق تربة صفراء، أزاحتها أمطار ليلة أمس إلى هنا.

فقلت لها:

"لم أتنبَّه حين وصلتِ، ما رأيك في هذا الجو الجميل! ما أجمل هذا الصباح".

قالت:

"فعلًا، غمرني هذا الجو الجميل بالفرح، ومنظر أوراق شجرة الـ"غِنْكُو" الخلاب، دعنا نكمل السير".

عندما أمسكت "طَمِ" بيدها الجميلة أوراق شجرة الـ "غِنْكُو"، ازدادت الأوراق جمالًا، وعندما نزلنا من على المنحدر، شعرت بأنني خرجت من مكانٍ ضيقٍ إلى فناء رحب، وسرنا ونحن نتحدث عن أننا يجب أن نسرع لجمع القطن، ونلعب ونلهو ونتسامر ونقضي وقتًا ممتعًا، كان منتصف الطريق جافًا، ولكن حافة الحقول التي على جانبي الطريق كانت مبتلة بشدة من أثر الندى، وكانت هناك نباتات كثيرة يعلوها أزهار متفتحة، مثل نبات "حسيكة" ولكنها كانت ذابلة، وكانت أكثر النباتات انتشارًا نبات "بيرسيكاريا"، كما شاهدنا الزهور الصفراء لنباتات اللوتس الياباني، وكانت زهور الأقحوان البرية متفتحة ولكنها تنمو في أماكن متفرقة تبعد بعضها عن بعض، فتوقفت بتلقائية وقلت لها هذه زهرة الأقحوان البرية، ولكنها لم تسمع ما أقول وهي تسير بسرعة. وضعت أمتعتي على جانب الطريق لعدة لحظات، وقطفت بعض زهور الأقحوان بسرعة.

كانت "طَمِ" تسبقني بنحو عشرين مترًا، وعندما تنبهت إلى عدم سيري بجانبها صاحت بتلقائية متعجبة:

"ماذا حدث لك!".

وفوجئت بها تعود مسرعة إلى حيث أقف، فقلت:

"لم يكن هناك أهمية لرجوعك تلك المسافة، كنت سأذهب أنا إليك".

"ماذا حدث، لقد اندهشت من عدم سيرك بجانبي، ما هذا! يا لها من زهور جميلة، أهدني نصفها، أنا أحب الأقحوان جدًّا".

"أنا أحب الأقحوان البري منذ صغري، هل تحبينه أنت أيضًا يا طَمِ؟".

"أنا أعشقه، لو جئت إلى هذه الحياة مرة أخرى، أتمنى من كل قلبي أن أصبح زهرة أقحوان بريّة، فأنا أحبها لدرجة عندما أراها أشعر برعشة من فرط حبي لها، ولكني لا أعرف سبب حبي لها إلى هذه الدرجة".

"ألهذه الدرجة تحبينها! لا عجب أنك مثلها".

ثم أعطيتها نصف ما قطفت، فأمسكته ووضعته بالقرب من وجهها، وواصلنا السير مرة أخرى، وقالت:

"لقد قلت يا سيد مَصَ إنني مثل زهرة الأقحوان البرية، ماذا كنت تقصد بذلك؟".

"لم أقصد شيئًا محددًا، شعرت أنك مثلها من دون سبب".

"ولكنك قلت إنك تحبها، أليس كذلك؟".

"نعم، أحبها حبًّا جمًّا".

ثم طلبت مني أن نكمل طريقنا وأن أسير أنا في المقدمة وتسير هي خلفي. والحوار العفوي القصير الذي دار بيننا الآن، جعل كلًّا منا يشعر في قلبه، بشعور قوي ذات دلالة عميقة، وقد لاحظت من خلال ملامحها أنها فهمت جيدًا إيحاءات ما قلت، وهنا توقف

الحديث، وسرنا بعد ذلك في صمتٍ، لا نستطيع الكلام، وكان يحزنني انقطاع الحديث بيننا.

وبما أننا صغارٌ، فقد أغوانا الشيطان؛ وعندما قلت إنها مثل زهرة الأقحوان البرية، ثم تبعت ذلك بقول أنا أحب الأقحوان البري حبًّا جمًّا، سمعت ضربات قلبي تتصاعد، وهذا يعني أنني لست مؤهلًا كي أتمادى في كلامي إلى أبعد من ذلك، وشعرت "طَمِ" بالشيء نفسه، فنحن شعرنا بذلك الإحساس بقوة، مما جعلنا لا نستطيع التفوه بأي شيء، فصمتنا وسرنا من دون أن نفتح أفواهنا بأي كلمة.

في الحقيقة، كانت "طَمِ" طفلة مثل زهرة الأقحوان البرية، لم تكن أبدًا ريفية بلهاء، ولم تكن أبدًا همجية في أي شيء تفعله، كانت جميلة المظهر والجوهر وأنيقة وراقية في كل ما تفعل، لم تكن تحمل أبدًا أي شعور بالحقد أو بالكراهية أو أي نوعٍ من المشاعر السيئة تجاه أي شخص، لو نظرتُ إليها من أي جانب ستجدها جميلة مثل زهرة أقحوان برية.

ظللتُ صامتًا لا أتكلم أبدًا، ولكني ناجيت نفسي قائلًا: لو ظللتُ هكذا صامتًا من دون حتى كلمة واحدة، فسوف يكون أمرًا غريبًا وغير مريحٍ لها، لذلك فكرت في قول أي شيء حتى ولو لم يكن عندي رغبة في الكلام.

فقلت: "يبدو عليك التفكير بعمقٍ في شيء ما، لدرجة أنك لم تلتفتي لا يمينًا ولا يسارًا في أثناء السير، بماذا تفكرين؟".

"لم أكن أفكر في شيء".

"أشعر أنكِ تكذبين، إن لم تفكري في أمرٍ ما، فلماذا بدا على ملامحك أنك منهمكة في التفكير، لا يوجد مشكلة تمنعك عن التحدث بصراحة عمّا يجول في خاطرك، حتى وإن لم يكن لديَّ فكرة عنه".

"أنا آسفة يا سيد مَض، فعلًا كنت أفكر في أمرٍ ما يشغلني دائمًا، ويجعلني أشعر بحزنٍ شديدٍ، كنت أفكر لماذا سني أكبر من سنك يا سيد مَض؟ سني سبعة عشر عامًا، شيء يجعلني أشعر بالحزن".

"ما هذا الهراء الذي تقولينه! أنتِ أكبر مني لأنك وُلِدت قبلي، لأنك عشت سبعة عشر عامًا، أليس كذلك! ما العار في أن يكون سنك سبعة عشر عامًا! العام القادم سوف يكون عمري ستة عشر عامًا، أنت تفكرين في أمور غريبة".

لم أكن طفلًا صغيرًا لدرجة ألا أتفهم مشاعرها التي جعلتها تقول ما قالته، كنت مدركًا ما تقول ولكني تعمَّدت ألا أُظْهِر ذلك، وبالعودة إلى التفكير فيما قالت، يبدو أنها فعلًا تفكر بعمقٍ شديدٍ في ذلك الأمر، بدليل أنها تحاشت النظر إلى وجهي وأنا أتحدث معها، ونظرتْ إلى الجانب الآخر.

وكنت كلما حاولت تخطي الكلام عن نقطة السن تعود إليها، وعليه ظل الحديث يدور عن تلك النقطة فقط ولم يتطور إلى شيء آخر، ولو كان أحدنا يضغط على الآخر كي يتخطى تلك النقطة لتخطيناها، ولم نفعل ذلك، وظل الحديث متمحورًا عن تلك النقطة، وكلانا يعرف ما في أعماق قلب الآخر، ولو كان أحدٌ منَّا يمتلك القليل من الشجاعة لتخطينا حاجز الكلام بالطريقة غير المباشرة، وتحدثنا بطريقة مباشرة، وأصبح هناك تطور في المحادثة التي بيننا، وفتحنا قلبينا لبعضنا وتحدثنا بصراحة عمَّا يخفيه كلٌّ منَّا في أعماق قلبه، ولكن بما أننا ما زلنا طفلين ومشاعرنا طفولية، فلم نمتلك الشجاعة التي تدفعنا إلى كسر حاجز التلميح والدخول إلى أعماق القلوب، ورغم أنه كان يجب التوقف عن التحدث في هذا الموضوع، بما أنه كان حديثًا سطحيًا وعقيمًا، فإنني لم يكن عندي نية قوية لفعل ذلك، بمعنى أن هذا الحب كان في بدايته، وكانت بذوره ما زالت في مرحلة

النمـو والانتشـار، وكلـما وصلنـا إلى نقطـة تحتـاج إلى شـجاعة للمصارحـة، تلعثمنـا وتوقفنـا عـن الـكلام، ولا نعـي مـاذا يجـب أن نفعـل.

سرنـا مئـات الأمتـار في الطريـق وكلٌّ منَّـا يناجي نفسـه، ويشـعر بالخجل مـن أن يبـدأ هـو في فتـح موضـوع للـكلام، مـا دار بيننـا مـن كلـمات كانـت قليلـة، ولكنهـا حملـت في داخلهـا، مشـاعر لا حـصر لهـا، مشـاعر خجولـة ولكنهـا تـدل عـلى فرحـة لا يمكـن التعبـير عنهـا بالكلـمات، تلـك الفرحـة جعلتنـا نسـير بسرعـة كأن أرجلنـا لا تلامـس اليابسـة، فتخطينـا حقـول الأرز بسرعـة، ثـم عرجنـا عـلى الطريـق المـؤدي إلى الجبـال المنشـودة، وحينئـذٍ انفرجـت أسـارير "طَـمِ"، وقالـت بحماسٍ:

"لقـد وصلنـا إلى منتصـف الطريـق، أليـس كذلـك يـا سـيد مَـصَ؟ لقـد قلـت لـك إن المسـافة إلى حقـول جبـال "أُوُنَجَصَكُ" نحـو أربعـة كيلومترات، أليـس كذلك؟".

"نعـم، بدقـة إنهـا قرابـة سـتة كيلومـترات، وقـد تخطينـا نصف المسـافة، هيا نرتـاح قليلًا".

"لا أشـعر برغبـة في الحصـول عـلى راحـة، لقـد نلـتُ عقـابي مـن عـدم الاسـتماع إلى نصيحـة خالتـي، بـأن جُرِحـت يـداي بشـدة هكـذا بسـبب البـوص، مـن فضلـك لـف عليهـا هـذه".

كانـت توجـد بعـض الجـروح في منتصـف أصبـع الإبهـام، ولكـن عـلى عكـس المتوقـع، كان هنـاك نزيـفٌ غزيـرٌ، فمزقـت الورقـة التـي حصلـت عليهـا منهـا بسرعـة ولففتهـا عـلى الجـروح، وعندمـا نظـرت جيـدًا إلى كلتـا يديهـا وجـدت لونهـما أحمـر، فشـعرت بالحـزن عليهـا، ولأنهـا قالـت إنهـا ترغـب في أخـذ قسـط مـن الراحـة بعـد الوصـول إلى الحقـول، لأن ذلـك أفضـل مـن الاسـتراحة هنـا وسـط الجبـال، فسرنـا بسرعـة، وهـي في المقدمـة، ووصلنـا إلى حقـول جبـال "أُوُنَجَصَـكُ"، بعـد السـاعة الثامنـة بقليلٍ.

منذ عشر سنوات ماضية، طلب أحد أقاربنا في القرية المجاورة لقريتنا من أبي الذي كان وقتها يتمتع بصحة جيدة، أن يشتري منه هذه الأرض، فلم يجد أبي مفرًا إلا أن يفعل ذلك فاشتراها. وهي تتكوَّن من حقل مساحته نحو ثمانية آلاف متر مربع، وغابة أشجار مساحتها نحو مئتي متر مربع، وهذه المنطقة التي يقع فيها الحقل، هي هضبة تتكون من جبال تحتوي على غابات، والفاصل بين تلك الغابات هو الحقل، وكانت أمي تقول دائمًا، امتلاكه لذلك الحقل يجعلنا في وضعٍ جيدٍ أمام الناس، ولكنه يحتاج إلى مجهودٍ كبيرٍ، وفي الوقت نفسه ليس مربحًا بالقدر الكافي.

وهذا الحقل محاطٌ من ثلاث جهات بالغابات، وفي الجنوب متصلٌ بحقلٍ آخر، الناحية الشمالية مرتفعة، والناحية الجنوبية منخفضة انخفاضًا مائلًا. وكما توقعت أمي فقد كانت زهور القطن متفتحة وفي آخر أيام جمعها، وإن هبَّت الرياح فسوف تبعثرها. وكانت أشعة الشمس تسقط على زهور القطن البيضاء المنتشرة هنا وهناك في جميع أنحاء الحقل، فتلألأت الزهور وأصبح منظرها خلّابًا.

ولأن "طَمِ" فتاة رقيقة، فقد نظرت بسعادة إلى القطن المتفتح الجميل وقالت:

"ما هذا! زهور القطن متفتحة إلى آخرها، حضورنا اليوم لقطفها كان قرارًا صائبًا".

وكانت تقف في منتصف الحقل شجرتا باولونيا أوراقهما على وشك السقوط، ولكنهما سوف يستمران في الاحتفاظ بأوراقهما، لقدرتهما على تحمُّل حرارة شهر أكتوبر، فأزحنا ما تحتهما من أوراق أشجار ووضعنا أمتعتنا، وعلَّقنا وجبتي طعام الغداء فوق الفروع. ورغم أن الجو كان جميلًا، فإننا سرنا بسرعة، فعرِقنا وشعرنا بارتفاع حرارة الجسم، فخلع كل منا رداءه الخارجي كي يمر الهواء إلى داخل ملابسه، وجلسنا ومددنا

أرجلنا. وكانت السماء شديدة الزرقة، والغابات تملؤها أشجار الصنوبر خضراء اللون، وعصافير الصرد تغرد هنا وهناك، وكانت الجبال هادئة لدرجة أن صدى صوت العصافير كان يتردد في الأنحاء جميعها، وبين السماء والأرض ووسط الحقول الرحبة تبادلنا أطراف الحديث.

وبعد أن مسحت العرق من وجهي ورقبتي، نظرت إلى وجه طَمِ وقلت:

"إن اليوم فعلًا كأنه يومٌ من أيام الجنة، ألا تعتقدين ذلك".

"نعم، أشعر أنني في حلم، ولكني في أثناء خروجي اليوم من المنزل كنت أشعر بضيقٍ، زوجة أخيك الأكبر كانت تنظر إليّ بطريقة غريبة، والخادمة "أُمَسُ" تعاملت معي ببرودٍ، لقد اندفع الدم إلى رأسي من الغضب، ولكنك يا سيد مَصَ، كنت تتصرف بطريقة عادية كأن شيئًا لم يحدث، مما جعلني أشعر بالضيق منك".

"أنا تصرفت بطريقة عادية! طبعًا لا، بدليل أنني كنت لا أريد مقابلة أهل القرية، ولذلك خرجت قبلك من المنزل وانتظرتك تحت شجرة الغِنْكُو، ولنترك هذا الموضوع يا طَمِ، ونفكر في الآن، دعينا نلهو ونتسامر ونقضي وقتًا ممتعًا، فسوف ألتحق الشهر القادم بالمدرسة المتوسطة في المدينة، ولم يتبقَّ إلا خمسة عشر يومًا فقط، وأعرف أن كلامي التالي ربما يكون سخيفًا، ولكني أشعر أن هذا اليوم، هو اليوم الأخير الذي سوف نكون فيه معًا، ألا تشعرين بنفس الشعور؟".

"هذا ما كنت أفكر فيه طوال الطريق، ولذلك قلت لك منذ قليل إنني أشعر بحزنٍ شديدٍ، ولكنك ضحكت وتوقفت عن الكلام".

ودائمًا عندما أدعوها إلى قضاء وقت ممتع، ثم نبدأ في الكلام، للأسف تتحول حالتنا من البهجة إلى الحزن والكآبة، ثم مسحت "طَمِ" دموعها، وفي تلك اللحظة سمعنا أصوات اصطدام بالبوص تحدث ضوضاء تأتي من ناحية الطريق الجبلي الموجود في الناحية الغربية،

وإذا برجلٍ يخرج علينا وهو يغطي وجهه ويسحب حصانًا يحمل حطبًا، وعندما نظرت إليه بإمعانٍ، شعرت بالدهشة، أنه رجلٌ من قريتنا ويُدعي "تْسُنِكِتْشِ"، إن ذلك الصفيق سبق له أن دعا "طَمِ" عدة مرات أن تصاحبه بمفردها إلى الناحية الأخرى من شاطئ النهر لتلهو معه، شعرت بالضيق لحضور شخص مثله إلى حيث نجلس، وإذا به يتجه بالحديث إلينا قائلًا:

"كيف حالك سيد مَصَ، الجو جميل جدًّا هنا. هل جئتما اليوم كزوجٍ وزوجة من أجل جمع القطن، منظركما معًا يوحي بالكثير".

ثم ضحك، فقلت:

"من! السيد تْسُنِكِتْشِ! يبدو أنك جئت اليوم من أجل الحصول على أجر حصانك الذي تؤجره للآخرين، وتبدو بصحة جيدة أيضًا لأنك استيقظت مبكرًا".

فقال ساخرًا: "نعم من أجل ذلك وأسباب أخرى، أردت التنزه قليلًا، لأني دائمًا لا أستمتع إلا بالتنزه واحتساء الخمر، أنت يا آنسة طَمِ تجعلينني أشعر بالغيرة، هذا جرم عظيم".

ثم ضحك، شعرت أنه شخص لا يعرف معنى الاحترام، فآثرنا السلامة وعدم الدخول معه في مشادات وابتسمنا كمجاملة، إلى أن تركنا وذهب، ثم قلت لها:

"إنسان أحمق، إني أكرهه جدًّا، هيا نبدأ العمل يا آنسة طَمِ، أرجو أن تنسي ما قاله، لا يجب أن نجعل كل صغيرة وكبيرة تُحزِننا، أنا سوف ألتحق بالمدرسة في مدينة تْشِبَ، إنها بعيدة جدًّا عن قريتي، ولو فكرت في العودة إلى القرية، لن أعود إلا في إجازة رأس العام، وغير ذلك ليس أمامي إلا مساء يوم السبت والأحد فقط".

فقالت: "أنا حقًّا آسفة أنَّ وجهي تجهم، إن هذا الرجل المدعو تْسُنِكِتْشِ، رجلٌ بغيضٌ".

ثم رفعت "طَمِ" الثوب عن ساعديها، ونزعتُ أنا قميصي وأقبلنا على العمل بهمة ونشاط، واستطعنا أن ننجز ثلثي العمل في نحو ثلاث ساعات فقط، ولأن ما تبقى من العمل كان قليلًا، قررنا أن نتناول وجبة الغداء، فرجعنا إلى ظل الشجر، ومن أجل شرب الماء قلت لـ "طَمِ":

"سوف أذهب لآتي بماء، احرسي أمتعتنا، وفي طريق عودتي سوف أقطف عنبًا أحمر وأجمع لك ثمار فاكهة أكيبيا كهدية".

فإذا بها تقول:

"ولكني لا أريد أن أظل بمفردي هنا، خذني معك يا سيد مَصَ، أشعر بقلقٍ شديدٍ أن يأتي شخص غريب الأطوار مثل الذي جاء منذ قليلٍ".

"ولكن يا آنسة طَمِ، أنا سوف أذهب إلى الناحية الأخرى من جبلٍ واحدٍ فقط؛ حيث يوجد هناك عين ماء نقية، والطريق الذي سأسلكه ليس كما تتوقعين، سوف تسيرين وسط البوص والأشواك وسوف تصاب قدماك كثيرًا بجروحٍ، لو لم آتِ بماء لن نستطيع تناول الطعام، طلبك سوف يضعنا في ورطة، أعتقد أنك تستطيعين الانتظار هنا يا آنسة طَمِ".

"إذن سأتبعك، أتركني أذهب خلفك، إذا كنتَ تستطيع أن تسلك ذلك الطريق، فأنا أيضًا أستطيع أن أسلكه، لا أريد أبدًا أن أظل وحدي هنا".

"بعد أن جئت هنا إلى هذه الجبال تحوَّلتِ إلى طفلة تطلبين التدليل يا آنسة طَمِ، حسنًا، هيا نذهب".

ثـم أخفينـا الطعـام وسـط شـجيرات القطـن، وارتدينـا ملابسـنا الخارجية وبدأنـا في السـير، فانفرجـت أسـارير "طَـمِ" كثـيراً. إن نظرنـا إلى طلبهـا هـذا مـن زاويـة أخـرى، سـوف نجـد أنـه طلـبٌ سـخيفٌ أو أنـه طلـب يدعـو إلى الشـفقة، ورغـم عـدم اقتناعـي بمـا قالـت في الدفـاع عن وجهـة نظرهـا، فإنها كانـت مصممـة عـلى موقفهـا، وشـعرت بفرحـة لا حـدود لهـا عندمـا حققت مـا تريـد، ولم يكـن الطريـق الـذي سنسـلكه مرتفعًـا كثـيراً عـن سـطح الأرض، ولكننـا سـوف نضطـر إلى إزاحـة البـوص الـذي يقـف أمامنـا عقبـة للسـير، ونتكـئ عـلى جـذور الأشـجار كي نتسـلق الأماكـن المرتفعـة التـي سـتقابلنا، وأحيانًـا سـوف أضطـر إلى أن أمسـك يدهـا وأسـحبها كي أسـاعدها.

ومـن خـلال مـا وصلـت إليـه مشـاعر كل منـا تجـاه الآخـر في عـدة الأيـام الأخـيرة، أقـول إننـي لا أسـتطيع رفـض أي طلـب لـ "طَـمِ" مهـما كان، ولا هـي تسـتطيع رفـض أي طلـب لي، ورغـم وصـول العلاقـة إلى مرحلـة أن يفكـر كلانـا في فعـل كل مـا هـو ممكـن للآخـر بغيـة أن يرضيـه تمامًـا حتـى يمـل، لم تتشـابك أيدينـا أبـدًا لأي سـببٍ مـن الأسـباب ولا حتـى مـرة واحـدة، ولكـن اليـوم وبمحـض الصدفـة، تشـابكت أيدينـا، ولـن يعـرف شـعور تشـابك الأيـدي لأول مـرة، إلا مَـن مـرَّ بتلـك التجربـة.

قلـت لهـا: "انظـري يـا طَـمِ، مـن هنـا تسـتطيعين رؤيـة عـين مـاء نقيـة هنـاك، مـن فضلـك انتظـري هنـا وأنـا سـوف أذهـب لآتي بالمـاء وأعـود، وبمـا أنـك سـوف تراقبيننـي، لا خـوف عليـك أن تظـلي هنـا بمفـردك".

"واضـح أننـي أسـبِّب لـك ضيقًـا، آسـفة أننـي تصرفـت كطفلـة، سـوف أنتظـر هنـا، مـا هـذا! توجـد أشـجار عنـب أحمـر".

ذهبـتُ وحصلـت عـلى المـاء، وعلقـت القـارورة عـلى خـصري، وبحثـت قليـلًا، فوجـدت أشـجار فاكهـة أكيبيـا، فقطفـت نحـو أربعـين ثمـرة، ثـم أخـذت فـرع عنـب أحمـر، وخمسـة فـروع مـن زهـور جنطيانـا الجميلـة ورجعـت إليهـا. وكان طريـق العـودة منحـدرًا قليـلًا فسرنـا فيـه معًـا مـن

دون عقبات، وعندما وصلنا إلى الحقول شاهدت زهور أوركيد كبيرة، فقلت لها:

"يا آنسة طَمِ، خذي فاكهة أكيبيا والعنب الأحمر واسبقيني، سوف أنزع بعض شجيرات أُكُرِ والحق بك".

"أُكُرِ! ما هذ الشيء؟ أليس هو الأوركيد؟".

فضحكت وقلت: "أنت من المدينة، تقولين كلامًا متحضرًا مثل كلمة أوركيد، ولكن الفلاحين في قريتنا يطلقون عليها أُكُرِ، سوف نستخدمها في صنع مرهم لعلاج تشققات البشرة".

"اليوم أسلوبك في الكلام يتصف بالجرأة".

ومن بين المتع التي يتمتع بها مَن يذهب إلى الجبال، تناول الوجبة المحمولة هناك، ربما هذا يرجع إلى أن الجبل كمكان طبيعي يؤثِّر إيجابيًّا في الصحة: حيث إن جميع مَن يذهبون إلى الجبل للعمل، يقولون إن الوجبة التي يتناولونها هناك بعد العمل، تصبح لذيذة لدرجة غريبة، وبعد أن أحضرت الماء جلسنا نحن الاثنان لتناول الوجبة التي أشرفت أمي على إعدادها بكل حب، تملَّكني وقتها شعورٌ غير عادي، سعادة ما بعدها سعادة، وبعد أن تناولت فاكهة أكيبيا التي أحبها، وتناولتْ طَمِ العنب الأحمر الذي تحبه، بدأنا في تبادل أطراف الحديث، فقالت طَمِ وهي تضحك:

"لقد أحضرت الأوركيد من أجل صنع مرهم لعلاج التشققات، فهل ستأخذ ذلك المرهم معك إلى المدرسة التي ستلتحق بها في مدينة تْشِبَ؟ وإذا انتهى وأنت هناك ستكون في ورطة! أليس كذلك؟".

فقلت بوجه جاد:

"ماذا تقولين! أنا سوف أهديه للسيدة أُمَسُ، لقد أصابت بشرتها تشققات منذ بداية هذا الشهر، فمنذ عدة أيام جاءت لتسخين ماء

لي للاستحمام وكانت تعاني من آلام شديدة بسبب تشققات في البشرة، فوعدتها أن أحضر لها الأوركيد من هنا".

"أهكذا! لم أكن أعلم ذلك، أنت إنسان طيب، إنها سيدة لا يظهر عليها أنها تكره أحد، ولذلك أحببتها وتصادقنا ولكن في الفترة الأخيرة، ومن دون أي سبب، كانت تتحدث معي بطريقة سيئة، وأصبحت تكرهني بشدة".

فضحكتُ وقلت: "هذا لأنها تغار منك، إن طبيعة المرأة أنها تغار بسرعة حتى من أبسط الأمور، كما فعلتِ أنتِ الآن، عندما قلت لك إنني أحضرت الأوركيد من أجل الخادمة أُمَسُ، فقلت لي إنني إنسان طيب، ولكن ما وراء الكلام أنك شعرت بالغيرة".

"لقد أصبحت جريئًا، وكلما قلت لك شيئًا تقول ما يخالفه، لا أستطيع مجاراتك في الكلام، وإن كان لا يوجد دليلٌ على أنها تغار مني، فإني أشعر بذلك".

"في الحقيقة الخادمة أُمَسُ إنسانة مسكينة، لو لم يحدث لوالديها ما حدث، لما تحوّلت إلى خادمة في منزلنا، فقد مات أبوها في الحرب، وحزنت أمها على موت أبيها حزنًا شديدًا إلى درجة الموت، وأخوها الأكبر منعزل على نفسه، مما جعل حالها كما رأيت، إنها ابنة شهيد ضحى بحياته من أجل الوطن، يجب أن نعاملها بطريقة لائقة يا طَمِ، وللعلم هي دائمًا تمدحك كثيرًا، ولكن للأسف زوجة أخي الشريرة تعاملها كأنها عبدة لها، الخادمة أُمَسُ فعلًا مسكينة جدًّا".

"وأنا أيضًا متفقة معك في وجهة نظرك، وخالتي دائمًا تقول نفس ما قلته أنت الآن، وإنني أحاول على قدر المستطاع أن أفصل بين عملي والتعامل معها، ما تردده عنا شيء يدعو إلى الحزن، ولكن أحاول أن أتجنب التعامل معها بناء على إحساسي هذا، وأركز في

القيام بعملي، ولو استطعت التعامل معها بحنان كما تفعل أنت سيكون هذا أفضل شيء، و...".

توقفت فجأة عن استكمال الحديث، ثم أمسكت بزهور الـ "جنطيانا" التي كانت ملفوفة بأوراق شجرة باولونيا، ثم غيَّرت الموضوع، وقالت:

"هذه الزهرة جميلة حقًّا، من فضلك آتني بها كلما استطعت، لم أكن أعلم أنها جميلة إلى هذه الدرجة، لقد مال قلبي إليها بسرعة، يا لجمالها".

وقامت "طَمِ" المحبَّة للزهور كعادتها بوضع زهور "الجنطيانا" ذات اللون الأرجواني الثقيل بجانب وجهها الأبيض، وبدا عليها أن فكرة ما راودتها، ثم ابتسمت فقلت:

- ماذا حدث يا آنسة طَمِ؟ ما الذي جعلك تضحكين هكذا بمفردك؟
- أنت يا سيد مَصَ، مثل زهرة الجنطيانا.
- لماذا؟

"لا أعرف لماذا، ولكني شعرت أنك مثلها من دون سببٍ محددٍ"، ثم بعد أن انتهت "طَمِ" من قول ذلك، أدارت وجهها الناحية الأخرى وضحكت.

- أنتِ أصبحت شقية جدًّا يا طَمِ، هل هذا مقابل تشبيهي السابق لك بأنك كزهرة الأقحوان؟ أنت تقلدينني في أسلوب كلامي، شيء مخيف، ولكن موضوع أنك زهرة الأقحوان وأنا زهرة الجنطيانا، يدل على أننا ثنائي جميل، أنا سعيد أنك تشبِّهينني بزهرة الجنطيانا، وأصبحت أسعد لأنك أحببتها.

وهكـذا قضينـا نحـن الاثنـان وقتًـا ممتعًـا وتبادلنـا الأحاديـث اللطيفـة، وبمـا أننـا في فصـل الخريـف واليـوم قصـير، فقـد بـدأت الشـمس في الانحـدار ناحيـة الغـرب، هنـا نـادى كل منـا الآخـر لبـدء القيـام بجمـع القطـن، وكان العمـل المتبقـي لفـترة مـا بعـد الظهـر ليـس كثـيرًا، ولذلـك لم يسـتغرق إلا سـاعة ونصـف فقـط، ثـم وضعنـا القطـن في السـلال وأعددنـا الأمتعـة، وسـاعد كل منّـا الآخـر في حمـل سـلته عـلى ظهـره، وسـارت طَـمِ في المقدمـة وتبعتهـا، سرنـا بخطـى ثقيلـة، وعندمـا غادرنـا منطقـة الحقـول، ظهـرت ظـلال أشـجار الصنوبـر بعـد أن تـوارت خلفهـا الشـمس.

وعندمـا وصلنـا إلى منتصـف الطريـق، ظهـر ضـوء القمـر ليلـة الثالـث عـشر مـن بـين أشـجار البـوص. الريـاح كانـت سـاكنة والرؤيـة واضحـة إلى حـد ظهـور النـدى عـلى أسـطح الأشـياء، في الصبـاح لم أنتبـه لوجـود زهـور الحنطـة في الحقـول المنخفضـة التـي عـلى غـرب الطريـق، ولكنـي تنبهـت لهـا الآن، كانـت بيضـاء، شـفافة ولامعـة، مثـل الحريـر الأبيـض، وكان الجـو يميـل إلى الـبرودة ويملـؤه صـوت حـشرات صرصـور الحقـل، هـذه الطبيعـة لا يمكـن ألا يكـون لهـا أثـرٌ طيـبٌ في داخلنا.

- أكيـد أنهـكك التعـب، سـواء أسرعنـا أم لا، نحـن تأخرنـا، ولذلـك يمكننـا أن نسـتريح قليـلًا، المناظـر الطبيعيـة هنـا جميلـة.
- بمـا أننـا تأخرنـا كثـيرًا، الأفضـل الآن أن نـسرع أكـثر، أكيـد أهـل المنـزل سـوف يعنِّفوننـا بسـبب التأخُّـر، أنـا قلقـة مـن ذلـك يـا سـيد مَـصَ.
- القلـق الآن لا جـدوى منـه، لقـد تأخرنـا بالفعـل، هيـا نسـتريح قليـلًا، هـذا المنظـر الجميـل للطبيعـة نـادرًا مـا نـراه، نحـن لا نفعـل مـا يـسيء للآخريـن، لا داعـي للقلـق يـا طَـمِ.

كان القمـر ظاهـرًا كأنـه يبعـد قليـلًا عـن سـطح الأرض، فجلسـنا عـلى جـذور الأشـجار التـي عـلى جانـب الطريـق، وكان هنـاك أشـجار تبعـد عنّـا

مسافة اثني عشر مترًا، ولها ظلال، تلك الظلال جعلتها وما حولها تبدو مظلمة بعض الشيء، ولكن الحقول التي على مرمى البصر كانت جلية الرؤية بضوء القمر، وكانت زهور الحنطة البيضاء ظاهرة بوضوحٍ تامٍّ داخلها.

قالت طَمِ: "يا له من منظرٍ خلّاب، هذا جو مناسب لإلقاء الشعر أو الغناء، أي شخص مثلي يجهل القراءة والكتابة، لو سمع شعرًا أو غناء الآن، سوف ينسى قلقه. لو كنت تحفظ شعرًا أو تغني، فهذا هو الوقت المناسب له، ما رأيك أن تغني، غنِّ لي من فضلك".

- في الواقع أنا أستطيع الغناء ولكن قليلًا، إن الغناء أمرٌ صعبٌ ولا أجيده، ولكن المنظر الذي أمامنا جميل، القمر وضوؤه وزهور الحنطة والحقول ونعيق صرصور الحقل، جميعها تتعانق في تكوين مشهدٍ جميلٍ، هيا نغني معًا يا آنسة طَمِ.

نحن الاثنان يجمعنا شعورٌ واحدٌ وهو القلق، بجانب ما نحمله من مشاعر كثيرة في أعماقنا، مما جعلنا لم نتحدث كثيرًا، ثم ظللنا صامتين لا نتحدث، كنّا شاردي الفكر، وفي النهاية كان يجب أن نتحدث، ولو حتى قليلًا، كنت أرغب في التحدث إليها، ولكن أكيد رغبة طَمِ في التحدث كانت أقوى مني، كنّا صغارًا وقلوبنا صغيرة، لم نكن نستطيع البوح بخلجاتها، وبينما كنا شاردي الذهن، إذا بسرب طيور إوز يمرُّ في السماء بالقرب منّا عائدًا إلى أعشاشه، كأنه ينبّهنا إلى العودة بسرعة للمنزل.

سرنا ونزلنا مع الطريق المنحدر إلى حيث حقول الأرز، وعندما شاهدنا أشجار "غِنْكُو"، انتابنا شعور واحد فقط، وهو صعوبة دخول المنزل، وإن كان لا يوجد سببٌ منطقي للشعور بذلك، لكن لم يكن هناك وقتٌ للتردد في مواصلة السير بسرعة، وأخيرًا وصلنا وأصبحنا أمام بوابة المنزل.

قالت طَمِ:

"من فضلك أدخل أنت أولًا يا سيد مَصَ، أشعر بانقباضٍ في قلبي من الدخول أولًا".

- حسنًا، سوف أبدأ أنا.

تشجعت ودخلت من بوابة الحديقة بطريقة عادية كأن شيئًا لم يكن، ومن خلال ما سمعته من أصواتهم من بعيدٍ، بدا لي أنهم كانوا مشغولين بطعام العشاء وكانوا منهمكين في الكلام بطريقة حماسية، وكانت بوابة المنزل ما تزال مفتوحة والقمر يلقي بضوئه على مدخل المنزل، وعند دخولي من بوابة الحديقة، تجشّأت فتوقف فجأة الكلام الذي كان دائرًا بينهم في حجرة الطعام، حينئذٍ وضعت "طَمِ" مقدمة إصبعها على كتفي، ففهمت ماذا تعني، كان اجتماعًا حول الطعام مصحوبًا بحديثٍ ساخنٍ يتعرض لنا.

كانت تلك ليلة الثالث عشر من الشهر، وهي ليلة الاحتفال، لذلك تجمّعوا في الحجرة الكبيرة للاستقبال، وجاءت أمي من حجرتها الكائنة في آخر المنزل، وكالعادة عنّفتنا على التأخير الشديد، ولكنها لم تعنِّفنا بشدة مثل كل مرة، فتوقَّعتُ أن يكون هناك أمرٌ ما لم تصرح به، وإلى الآن عندما كانت تعنِّفنا لم أكن أشك في أنها تخفي شيئًا ما، ولكن اليوم تملَّكنا إحساس أن داخلها شكوكًا ما نحونا، ولكنها لا تفصح عنها بكلماتٍ واضحة، انزوتْ "طَمِ" في مكانٍ ما داخل المنزل ولم تحضر لمشاركة هذا التجمع، أما أنا فقد وضعتُ أمام الجميع ما آتيت به من فاكهة أكيبيا وعنب أحمر، بهدف أن يتفهموا أننا تأخرنا بسبب جمعنا لهذه الفواكة، من دون تبريرٍ بكلامٍ مباشرٍ، ولكن يبدو أن ذلك لم يشفع لنا، بل لم يقتنع أحدٌ منهم على أنه سببٌ منطقي للتأخير، وظل الحديث يدور بينهم جميعًا من بدايته إلى نهايته، متجاهلين كل منّا، كأننا مذنبان تمامًا من دون أدنى شكٍّ.

زوجة أخي قالت لأمي: "أنت تتعاملين معهما بتساهلٍ، سمحت لهما بالذهاب إلى الحقول التي وسط الجبال حيث لا يستطيع أحدٌ رؤيتهما، وحتى لو كنتِ قلقة من أن يحدث بينهم شيء وحدث بالفعل، فلن يفيد القلق حينذاك".

يبدو أن هذا ما توصَّلوا إليه في أثناء نقاشهم في حجرة الطعام، أما أمي فكانت تنظر إلينا دائمًا كأطفال حتى اليوم، ولكن بعد هذا الكلام من المؤكد أنها شعرت بخطئها في نظرتها إلينا، ولذلك وجدت أنه لا فائدة من تعنيفنا، وبدا لي أنها قررت أن ترسلني إلى المدرسة في المدينة كي تحل هذه المشكلة، فقالت لي:

"يا مَصَ، كنت أنوي إرسالك إلى المدرسة في شهر نوفمبر، ولكني أراكَ تتسكع فقط، وجودك هنا الآن لا فائدة منه، بعد انتهاء الاحتفال اذهب إلى المدرسة، سوف تسافر يوم السابع عشر، أعد أمتعتك لذلك".

بالنسبة إلى السفر ودخول المدرسة، فكانت هذه رغبتي في الأصل، وليست هناك مشكلة إن كنت سأسافر اليوم العاشر أم العشرين، ولكن المشكلة أن يُقال لي هذا الآن وفي هذه الليلة، لأن ذلك يشير إلى أنهم حكموا علينا كأننا ارتكبنا فاحشة، وأن ذهابي إلى المدرسة فجأة وبسرعة هو عقاب، وطبعًا بالنسبة إلى "طَمِ" وبالنسبة إليَّ هذا شعور مرير، فنحن لم نرتكب إثمًا يدنس شرفنا، إما أن يقرروا ذلك فجأة ومن مجرد شبهات سخيفة لا أصل لها، شيء غريب. وعلى الرغم من ظن السوء فينا، لم يمنحونا فرصة للدفاع عن أنفسنا، وليس لنا الحق في رفع صوتنا عاليًا لتوضيح الأمر، لو كان هذا الكلام قِيل لأمي منذ شهرٍ مضى، ما كانت ستصدق. موضوع الذهاب إلى مدرسة المدينة في الأصل كان بناء على رغبتي، ولكن اعتباري مذنبًا وصدور أمر فجأة بسفري إلى المدرسة، شعور قاسٍ، ولكني لا أستطيع قول ذلك الآن،

فأنـا لسـت سـاذجًا لدرجـة أن أقـول ذلـك هـذه الليلـة. في الواقـع أنـا لا أسـتطيع قـول ذلـك لأننـي و"طَـمِ" فعـلًا وقعنـا في حـب بعضنـا.

لقـد وصلـت حالتـي إلى أن وضعـت حاجـزًا بينـي وبـين أمـي التـي تحبنـي؛ حيـث إني لا أسـتطيع أن أبـوح لهـا بمـا في قلبـي، وأشـعر بالخـوف أن يرانـا النـاس أنـا و"طَـمِ" معًـا، وعندمـا نكـون معًـا أمـام النـاس نتعمـد التعامـل ببـرودٍ، وقـد نمـا الحـب لدرجـة أننـي أشـعر بـه الآن بشـكلٍ كبـير، ولكـن هـل أسـتطيع الإعـلان عـن ذلـك أمـام أمـي؟ وكيـف أفعـل؟ وردًّا عـلى أوامـر أمـي فـكان كل مـا قلتـه:

- نعم سأنفذ أوامرك.

فليس هناك مفرٌّ من طاعة أوامرها طاعة عمياء.

ثم قلت لنفسي:

"لا مشـكلة أن أسـافر لدخـول المدرسـة، ولكـن مـاذا سـيحدث للآنسـة طَـمِ يا تـرى؟".

ثـم نظـرتُ ناحيـة "طَـمِ"، فوجـدت الخادمـة "أُمَـسُ" تـأكل فاصوليـا خـضراء، وبجانبهـا تجلـس "طَـمِ" منشـغلة بتحسـس الحـزام الـذي عـلى خصرهـا، وكانـت صامتـة وتنظـر إلى أسـفل، وبـدا عليهـا أنهـا في حالـة صحيـة سـيئة، ربمـا بسـبب مـا قيـل هـذه الليلـة، فـكان وجههـا شـاحبًا، وعندمـا رأيتهـا هكـذا، شـعرت بالحـزن وبرغبـة في البـكاء عليهـا، وامتـلأت عينـاي بالدمـوع، ولم أسـتطع الرؤيـة بوضـوحٍ، ولا أعـي السـبب الـذي جعلنـي أفعـل ذلـك، ولكنـي لم أسـتطع كبـح جـماح شـعوري بـأن "طَـمِ" مسـكينة، ولم تسـتمر علاقتـي الجميلـة مـع "طَـمِ" إلى تلـك الليلـة، انتهـت هـذه العلاقـة مـع انتهـاء نهـار يـوم الثالـث عـشر، لم نسـتطع الحديـث طويـلًا عـمًا شـعرنا بـه مـن سـعادة، وطبعًـا لم نسـتطع الحديـث عـن أوجاعنـا إلا قليـل القليـل، وأُسـدِلت سـتائر النهايـة عـلى علاقتنـا.

اليوم الرابع عشر كان أول أيام الاحتفال، وكنّا مشغولين طوال اليوم إلى أن غابت الشمس، تجاهل أحدنا الآخر، وانشغلنا فقط بالأعمال اليدوية، وتناسينا ما يدور في قلوبنا.

وفي اليوم الخامس عشر والسادس عشر، قبعت في حجرة مذاكرتي ولم أخرج منها إلا لتناول الطعام، وجلست على مقعدٍ خلف منضدة المذاكرة وألقيت صدري عليها لا أفعل شيئًا، شارد الذهن، ولم أفكر إلا في ما سأفعل بالنسبة إلى علاقتنا، عقلي ممتلئ بالتفكير في "طَمِ"، ويصعب جدًّا عليَّ التخلي عن التفكير فيها وأفكر في شيء آخر، وخلال ذلكما اليومين قابلتها بالصدفة نحو أربع مراتٍ، ولم نتبادل الكلام ولا حتى الابتسام، ولكن أعيننا قالت لبعضها كم نحن نشعر بالوحدة والاشتياق إلى بعضنا، ولو كانت مشاعرنا ناضجة قليلًا لتقابلنا وتحدثنا عما يجب أن نفعله في المستقبل، ولكن مشاعرنا لم تكن ناضجة لدرجة فعل ذلك، ولكن في ظهر يوم السادس عشر كتبت لها الرسالة التالية، وعندما جاء وقت غروب شمس ذلك اليوم، أعطيتها تلك الرسالة، وقلت لها أن تفتحها بعد أن أسافر إلى المدرسة.

"إلى طَمِ

منذ أن دخلت حجرة مذاكرتي في الصباح، لم يصبح عندي نية لفعل أي شيء، لا أريد أن أخطو خارج الحجرة، ولا أرغب في قراءة الكتب، ولكني أفكر مرارًا وتكرارًا فيكِ، عندما أكون معكِ، أشعر كأنني أطير فوق السحاب، لا أعرف لماذا أصبحت هكذا. سوف أسافر للالتحاق بمدرسة المدينة، لأنني أرى أهمية لتحصيل العلم، ولكن بالنسبة إليكِ، لا أريد أن أفارقك، يقلقك فارق السن بيننا، ولكني لا أعير ذلك أي اهتمام، سوف أكون لك كما تريدين، أرجو

أن تصدقيني، سوف أغادر غدًا في الصباح الباكر، وسأعود في إجازة الشتاء، ويملؤني الشوق والحنين إلى رؤيتك عند عودتي.

السادس عشر من أكتوبر

مَصَ"

وبما أن الحال يقول إن سفري بسرعة للالتحاق بالمدرسة، هو عقاب، فعندما كنت أسمع أصوات ضحكاتهم أو كلامهم، كنت أشعر بحنقٍ شديدٍ، كلامهم وضحكاتهم بدت لي شماتة فينا، وهذا جعلني أرغب في الرحيل بسرعة إلى المدرسة، وبما أنني عقدت النية على الرحيل بسرعة، فشعرت بالراحة، وخرجت من حالة شرود الزهن ونشط عقلي قليلًا، فتناولت طعام العشاء بشهية، وتبادلت الحديث مع أمي عن أشياء كثيرة تخص الاستعداد للمدرسة، وفي النهاية ذهبت إلى الفراش، وقلت في نفسي:

"أنا أحمق جدًا، رغم أني طفلٌ صغيرٌ في الخامسة عشرة فإنني لا أفكر إلا في الجنس الآخر، فعلًا أنا أحمق، غدًا في الصباح سوف أسافر للالتحاق بمدرسة المدينة، "طَمِ" مسكينة، ولكني لن أفكر فيها بعد الآن، التفكير فيها عديم الفائدة، لا جدوى منه، يجب أن أفكر فقط في المدرسة".

وفي صباح يوم السابع عشر، كانت الأمطار تتساقط، وكي أذهب إلى مرسى القوارب في منطقة "يَكِرِ"، وضعتُ أمتعتي كلها في حقيبة واحدة وصاحبتني كل من "طَمِ" والخادمة "أُمَسُ" إلى المرسى لوداعي، ومن هنا سوف أذهب عن طريق النهر إلى مدينة "إِتْشِكَوَ"، وكان القارب الذي سينقل المسافرين وأمتعتهم من القرية منتظرًا في المرسى، وكنت

على وشك أن أودع "طَمِ" وأقول لها إلى اللقاء، ولكن توقفت الكلمات في حلقي ولم تخرج، وأعطتني "طَمِ" لفافة، وكانت مرتبكة، تحني وجهها إلى أسفل وتضع يدها على صدرها ثم على ياقة ردائها. وكي لا ترى الخادمة "أُمَسُ" عينيها الممتلئتين بالدموع، وجَّهت ظهرها إليها، وعندما شاهدت منظرها الذي يفطر القلب، لم أستطع كبح جماح دموعي، وبما أن اليوم هو يوم وداعنا، فقد صففت "طَمِ" شعرها بطريقة مختلفة وساحرة، قسمته نصفين، وزيَّنت وجهها بزينة خفيفة، وكانت ترتدي رداء وفوقه معطف بخطوط طويلة وعرضية، والألوان كانت رماديًا وكحليًا، وحزامًا قطنيًا أنيقًا، وترفع كم الرداء بحمالة، كانت اليوم أكثر حيوية وبهاء ورونقًا.

وأتصور أن "طَمِ" منذ يوم الثالث عشر، وحالتها الصحية تسوء بسبب الحزن، وفي يوم رحيلي، كان يبدو عليها أنها تتألم بشدة، مما جعلني أبكي أيضًا على حالها الذي يستدعي الشفقة والتعاطف الشديد، ورغم أن الوضع كان يوحي بالتشاؤم وحدوث ما لا يُحمد عقباه، فإنني وبالطبع "طَمِ" أيضًا لم نتخيل أبدًا، أن ذلك اللقاء سوف يكون آخر لقاء لنا في هذه الدنيا، وقد وصل الشعور بالأسى والحزن عند اللقاء الأخير لدرجة لا يمكن أن أصفها للآخرين، وفرضًا إذا استطعت وصفها، لن يستطيع أحد أن يتصورها أبدًا.

ودون أدنى شكٍّ، أن "طَمِ" كانت تفكر في علاقتنا بعمقٍ أكثر مما كنت أفكر؛ فقد كنت لا يزال أمامي أربعة أو خمسة أعوام إلى أن أتخرج في المدرسة المتوسطة، أما "طَمِ" فهي في سن السابعة عشرة، وإذا أخبرها والدها ووالدتها أن هناك مَن تقدم لزواجها، طبعًا لن تجد سببًا منطقيًا للرفض، وهذا يعني أنها كانت تفكر في علاقتنا من أولها إلى آخرها بكل تفصيلاتها، مما جعلها تشعر بالقلق، أما أنا فقد كنت وقتها لا أفكر في ذلك كله، ورغم مرور أعوام كثيرة على لقائنا

الأخير، لكن مشهد "طَمِ" وهي يبدو عليها الحزن الشديد ما زال حيًّا في ذاكرتي، كأنه كان الأمس.

كان المحيطون بنا وقت وداعنا ينظرون إلينا بضيقٍ، ولكن بالنسبة إلينا، كان كل منَّا ينظر إلى الآخر بحزنٍ وتعاطفٍ وشفقة، وفوق ذلك لم نستطع أن نشبك أيدينا ونتبادل الحديث عما سوف نفعله فيما بعد، وقفنا على مرسى القوارب؛ حيث لم تتوقف الأمطار عن السقوط، وكنا نحجب دموعنا عن الآخرين كي لا يرونا ونحن نبكي، ولم نستطع تبادل الحديث، ولا حتى بضع كلمات، وافترقنا فراقًا أبديًّا، حملني القارب الجماد الذي لا يشعر بما أشعر به، منحدرًا بي ناحية المصب في سرعة، وبعد مرور أقل من عشر دقائق، تباعدت بيننا المسافة نحو خمسمائة متر، ومنع الضباب أحدنا عن رؤية الآخر، ولم أستطع نسيان المسكينة التي كانت تشعر بالحسرة والحزن دون أن تنطق بكلمة واحدة، ولم أستطع أن أتجنب التفكير فيها، لقد خشيت أن يغضب عليَّ الرب فيقتلني إذا لم أفكر فيها. وبعد أن كبرت وفكرت في ذلك، قلت لنفسي لم نفكر أن نفعل هذا أو ذاك، لقد كنا صغارًا، فلم نستطع إيجاد مخرج لحل المشكلة، حتى تلك الحكاية الشهيرة للفتاة ابنة بائع الأسماك التي تقول إن في يومٍ ما حدث حريق في بيت بائع السمك، فذهب بعائلته إلى المعبد ليقيم فيه مؤقتًا كمأوى. أحبَّت ابنته شابًا من المعبد في أثناء إقامتهم، وبعد انتهاء بائع السمك من ترميم منزله، عاد إليه بصحبة أسرته، وعندما أرادت ابنته مقابلة حبيبها مرة أخرى؛ حرقت المنزل كي يذهبوا إلى الإقامة في المعبد من جديدٍ، أحرقت ابنة بائع السمك منزلها فقط كي تقابل حبيبها، ولكننا لم نفكر حتى في أي حلٍّ، لم يكن لدينا المعرفة والحكمة كي نجاهد من أجل أن نتزوج ونعيش معًا في منزلٍ واحدٍ، إلى هذا الحد كان حبنا طفوليًا، بريئًا وضعيفًا، لا يستطيع الدفاع عن نفسه، كما كنا

نحن أيضًا ضعفاء ونخشى أولياء أمورنا، ونخفي حبنا عن إخوتنا، ولا نستطيع أن نُظهِر دموعنا أمام الآخرين.

وبعد أن التحقتُ بالمدرسة، لم أتوقف عن التفكير في "طَمِ"، كانت هي كل ما يشغلني ولا أستطيع الانشغال بشيء آخر، وحتى عندما أكون داخل المدرسة، أفكر فيها وأسأل نفسي إلى ماذا يؤدي التفكير فيها، ثم أشجع نفسي وأحثني على ألا أستسلم وأن أفكر في حلٍّ لتلك المشكلة، ولكني لا أصل إلى نتيجة، ولكن الكلمات التشجيعية التي أذكِّر بها نفسي بألا أنساها، يجعل ذكراها تحيا في قلبي مرة أخرى، وعندما أكون وسط كثيرٍ من الأشخاص، أنشغل بهم، ولذلك قررت، قدر المستطاع، ألا أكون بمفردي في أثناء النهار، وأما في الليل، لا مفرَّ من عجزي عن النوم، ولذلك فكرت في طريقة لأنشغل عن التفكير فيها، وهي أن أظل أطول وقتٍ ممكنٍ وسط الناس وأن أفعل أي شيء يجعلني أشعر بالإرهاق التام فأنام، وظللت أنفذ تلك الطريقة إلى أن جاءت إجازة الشتاء.

وعندما عدت إلى قريتي في اليوم الخامس والعشرين من شهر ديسمبر، كانت حديقة المنزل مليئة بحبوب الأرز الجافة، وكانت أمي قد وضعت الفراش في الشرفة كي يصبح دافئًا بفعل أشعة الشمس، ويبدو أن صحتها تحسَّنت كثيرًا في الفترة الأخيرة، وعلمت منها أن أخي وزوجته والخادمة "أُمَسُ" ورجلًا آخر ذهبوا إلى الحقل الذي نملكه، لتنظيفه من أوراق الأشجار الساقطة، وخرجت من فمي كلمة "طَمِ"، ولم يخرج منه أكثر من ذلك، ولكن أمي تعمَّدت أن تتجاهل الرد، كنت متلهفًا على السؤال عنها، وفي أثناء رحلة عودتي، كنت متعجلًا لمعرفة أخبارها، رغم علمي بصعوبة ذلك الأمر، وعندما لم أحصل من أمي على إجابة، ذهبت إلى حجرة مذاكرتي ونظفتها وجلست ساكنًا فيها، وكنت أتوقع أن تأتي "طَمِ" في أي وقت خلال النهار، فانتظرتها، وغربت الشمس ورجع الجميع وتجمعنا لتناول

العشاء ولكني لم أرها، والأكثر من ذلك لم يتحدث عنها أحدٌ، ولا حتى كلمة واحدة، فتوقَّعت أنها عادت إلى منزل أسرتها في مدينة "إِتْشِكُوَ"، وشعرت أنهم لا يرغبون في سؤالي عنها، فلم أسألهم أو أتحدث في موضوع آخر، وعندما انتهيت من تناول الطعام، قمت على الفور وذهبت إلى حجرة مذاكرتي.

توقعت أن أرى "طَمِ" في ذلك اليوم، كنت مشتاقًا إلى رؤيتها ولهذا السبب كنت سعيدًا بعودتي إلى قريتي، ولكن بما أنني لم أحقق تلك الرغبة، شعرت بانكسارٍ لا يمكن وصفه بالكلمات وبوحدة شديدة، ورغم ذلك لم يكن لديَّ رغبة في البوح لأي شخص بما في قلبي من حزن وأسى، وأخرجت صورة "طَمِ" وما يذكِّرني بها من أشياء، وظللت أشاهدها، ومع ذلك لم أشعر بالراحة ولم ينشرح صدري، وظللت أفكر فيها فقط، ثم شعرت بالغيظ، غيظ أنني أرغب في وجودها معي، وعدم قدرتي على تحقيق ذلك، وبعد مدة انفرج صدري وذهبت إلى حجرة أمي، وبجانب وسادتها حكيت لها حتى وقت متأخر عن أحوال المدرسة.

واستيقظت نحو الساعة التاسعة صباحًا، وكانت أمي لا تزال نائمة، فذهبت إلى حجرة الطعام، ولم يكن هناك إلا الخادمة "أَمَسُ"، وكانت تنظف الحجرة، أما الآخرون فقد ذهبوا إلى ذلك الجبل الذي نملكه لتنظيفه من أوراق الأشجار الساقطة، فغسلت وجهي، ومن دون تناول طعام الإفطار، ذهبت إلى حقل المنطقة الخلفية من المنزل، وكان هذا الحقل، هو الذي جمعت مع "طَمِ" منه الباذنجان، كان الحقل مليئًا بشجيرات الخضروات التي طالت أفرعها، فوقفت طويلًا، لا أنظر إلى مكان معين، بل كنت شاردَ الذهن، كنت أرى "طَمِ" في خيالي، في قلبي وعقلي، كنت أتخيلها معي في الحقل.

وإذا بصوتٍ يصدر فجأة من خلفي يقول:

"سيد مَصَ، ما الذي تفكر فيه بعمقٍ شديدٍ هكذا؟".

كانت الخادمة "أُمَسُ" التي تركت عملها وسارت خلفي من دون أن أنتبه، فأجبتها باختصارٍ وسطحية لا يدلَّان على حقيقة ما في قلبي، وإذا بها تسحبني من يدي إلى كومة قش وتقول لي اجلس هنا، ثم جلست بجانبي وقالت:

"أشعر بالشفقة على طَمِ، ومتعاطفة معها بشدة يا سيد مَصَ، إنها مسكينة، في الحقيقة زوجة أخيك شريرة، شخصيتها سيئة لدرجة لا يتخيلها أحد، وأنا أيضًا بسببها كرهت هذا المنزل، كانت تعلم جيدًا أنك سوف ترجع اليوم، فقالت للآنسة طَمِ ما لا يتحمَّله أحدٌ، وطردتها من المنزل، لتعود إلى منزل أسرتها في مدينة إتْشِكَوَ؛ حيث قالت لها بسخرية: أنت منتظراه، أليس كذلك؟ كلٌّ منكما متلهف على مقابلة الآخر، أليس كذلك؟ كانت تسخر منها وتنتقدها وتحقِّر من شأنها بالكلام والإيحاءات والتصرفات، مما جعل طَمِ تبكي كثيرًا، كما أنها تكلمت بالسوء عنها مع والدتك، وفي النهاية طردتها أول أمس قبل الظهير، لو كنت تعجلت في الوصول لربما قابلتها. يا سيد مَصَ، لقد حزنت على طَمِ حزنًا شديدًا، مسكينة، لم تتوقف عن البكاء منذ غادرتَ المنزل، حياتها كانت بكاءً مستمرًّا، وكانت تريد أن تكتب لك رسالة، ولكنها لا تستطيع كتابتها بنفسها مما جعلها تشعر بالضيق الشديد، وجاءت إلى حجرتي ثلاث ليالٍ ومعها الورق والقلم وكانت تبكي، وقد أخفت عني مشاعرها في البداية، ولكنها لم تستطع أن تستمر في ذلك، وقد بكيت أنا أيضًا من أجلها كثيرًا".

قالت ذلك ودموعها سيول تتدفق من دون توقف، فشعرت كم هي سيدة رقيقة وعطوفة، كانت تشعر بالغيرة عندما تشاهدنا أنا و"طَمِ" معًا، ولكن لم تحمل في قلبها الضغينة، كانت غيرتها سطحية

ومؤقتة، بدليل أنها عندما كانت "طَمِ" تشعر بالوحدة، كانت تقترب منها وتتحدث إليها، وكانت تفعل معي نفس الأمر.

كما أنها أخبرتني أيضًا، أنه حدث بعد أن غادرت القرية إلى المدرسة، استدعت أمي "طَمِ" وعنَّفتها بشدة.

وذلك ملخص ما قالته عما حدث: كانت زوجة أخي الشريرة تتفوَّه بكلامٍ كثيرٍ يسيئ إلى طَمِ، ولكن كلامها لم يغيِّر ولو حتى قليلًا من حب أمي لها، ولكن أمي غير موافقة على زواجي من طَمِ لأنها أكبر مني بعامين، وانتهزت زوجة أخي ذلك للهجوم على "طَمِ"، حيث قالت لأمي إذا كنت لا ترغبين في زواجهما، لا يجب أن تتركيهما يتقاربان أكثر، يجب التفكير في طريقة لإبعادهما عن بعض، وبما أن زوجة أخي وأمي اتفقتا على رفض زواجنا، فهذا إشارة غير مباشرة إلى زوجة أخي أن تتخذ إجراءاتٍ لإبعاد طَمِ عني، ومن هنا بدأت معاملة زوجة أخي وأمي تجاهها تتغير، وأصبحت "طَمِ" حساسة بطريقة مفرطة، تخشي أن تفعل أي شيء فتهاجمها زوجة أخي أو أمي، ولكن أمام الناس تظهر بمظهرٍ عادي، وفي الواقع كانت طَمِ تنسى كثيرًا، وعندما يستدعيها أحدٌ لا ترد في الحال، وهذا جعل أمي تغضب منها أحيانًا، وبعد أن تركتُ أنا القرية بعشرين يومًا، وكان ذلك في بداية شهر نوفمبر، قررت طَمِ أن تخرج كي تتنزَّه في المراعي والحقول مع بعض الفتيات من القرية، وقد طلبت منها أمي أن تنظف حجرة الاستقبال وتأخذ وسائد الجلوس الموضوعة في حديقة المنزل وتضعها في الخزانة، ثم تذهب مع الفتيات للتنزه في الحقول، ولكن بعد أن نظفت "طَمِ" المكان، لم تضع الوسائد في الخزانة، بل نسيت وذهبت مباشرة إلى التنزه في الحقول، ولسوء الحظ، في أثناء ما كانت تتنزَّه، أمطرت السماء، فتبللت الوسائد وكان عددها عشرة، وعند رؤيتها للمطر تذكرت أنها نسيت وضع الوسائد في الخزانة، ولكن فات الأوان وقُضي الأمر، فعادت مسرعة واعتذرت لأمي، كانت

أمـي تفكـر في تصرفـات "طَـمِ" اليوميـة غـير العاديـة في الفـترة الأخـيرة، ولذلـك قالـت لهـا:

"لسـت غاضبـة عـلى تبلُّـل عـشر وسـائد بمـاء الأمطـار، ولكنـي غاضبـة لأنـكِ لا تهتمـين بعمـل مـا أطلبـه منـك، لم تكـوني هكـذا سـابقًا، أنـت مشـغولة طـوال الوقـت بالتفكـير في موضـوع خـاص بـك، ولذلـك لا تنصتـين إلى مـا أطلبـه منـك ....".

وهكـذا اسـتمرت أمـي في تعنيفهـا، وذهبـت "طَـمِ" بعـد ذلـك إلى أمـي في حجـرة نومهـا وأحنـت رأسـها حتـى كادت تلمـس الأرض واعتـذرت لهـا وطلبـت منهـا العفـو، فعنَّفتهـا أمـي مـرة أخـرى عـلى اعتذارهـا بهـذه الطريقـة الرسـمية، لأنهـم ليسـوا أغرابًـا كي تفعـل ذلـك، فلـم تسـتطع "طَـمِ" تحمُّـل كل هــذا التعنيـف، فانكفـأت عـلى الأرض وانفجـرت في البـكاء. وإذا كان الموقـف انتهـى ببكائهـا حينـذاك، لمـا كان هنـاك مشـكلة، ولكـن "طَـمِ" ظلـت تبـكي طـوال الليـل، وقـد احمـرَّت عيناهـا في الصبـاح بسـبب البـكاء، واسـتيقظت أمـي ليـلًا أكـثر مـن مـرة عـلى صـوت بكائهـا الـذي اسـتمر الليـل بأكملـه، وفي الصبـاح كانـت غاضبـة بشـدة، واسـتدعت الخادمـة "أُمَـسُ" و"طَـمِ" وقالـت بصـوتٍ منخفـض.

"أعـرف أننـي أتكلـم مـع أي شـخص بطريقـة صريحـة مـن دون التفكير في مشـاعره، أو أن كلامـي قـد يجرحـه، وأرجـو أن تكـوني يـا سـيدة أُمَـسُ شـاهدة عـلى مـا سـوف أقولـه لــ طَـمِ الآن. ظلَّـت طَـمِ ليلـة أمـس تبـكي طـوال الليـل مـن دون توقـف، مـن المؤكـد أنهـا شـعرت بالحـزن بسـبب مـا قلته لهـا".

وهنا قالت "طَمِ" وهي تبكي:

"إن الموضوع ليس كذلك".

ولكـن أمــي لم تنصـت إليهـا، واسـتمرت في حديثهـا حيـث قالـت والدمـوع تمـلأ عينـي طَـمِ:

"نعـم، أعلـم أننـي قلـت أكـثر مـما يجـب، ولكـن لم يكـن لدرجـة أن طَمِ تحـزن إلى هـذه الدرجـة، لقـد شـعرت بالضيـق الشـديد مـن بكائها هكـذا، ليـس لأننـي أحبهـا أتغـاضى عـما يجـب فعلـه، في الأصـل هـي ليسـت ابنتـي مـن رحمـي، ولكنهـا كانـت تـأتي هنـا منـذ كانـت طفلـة رضيعـة، وكنـت أرضعهـا مـن ثـدي، وأرضـع مَـصَ في الوقـت نفسـه مـن الثـدي الآخـر بعـد ولادتـه مباشرة، ومنـذ جئـت يـا سـيدة أُمَسُ وأنـت كـما تشـاهدين، أننـي أقسـم كل شيء بينهـما بالتسـاوي، حتـى إذا حكـت ثوبًـا لأحـدٍ أحيـك للآخـر أيضًـا، لم أتعامـل معهـا عـلى أنهـا أقـل منـه، بـل نفـس المعاملـة، وقـد شـعرتْ هـي أننـي مثـل أمهـا التـي أنجبتهـا، لدرجـة أن الأغـراب كانـوا يعتقـدون أنهـما إخـوة، وفي آخـر الأمـر، لمجـرد أننـي عنَّفتهـا مـرة تبـكي طـوال الليـل! كان يجـب ألا تفعـل ذلـك، لـو سـمعت أسرتهـا في إتْشِـكَوَ مـا حـدث، مـن المؤكـد أنهـم سـيعتقدون أننـي عنَّفتهـا لدرجـة كبـيرة جـدًا، لقـد شـعرت بـالأسى لأنهـا نسـيت أننـي عاملتهـا كابنتـي طـوال عمرهـا، لمجـرد أننـي عنفتهـا مـرة، هـل طبيعـة الإنسـان أن ينـسى المعـروف! يـا سـيدة أُمَـسُ، احكمـي بيننـا، هـل أنـا المخطئـة أم هيَ؟".

وعندمـا سـمعت "طَـمِ" هـذا، شـعرت بعـدم قدرتهـا عـلى تحمُّـل نفسـها ولا الدنيـا ومـا فيهـا، وفجـأة ألقـت بنفسـها عـلى خـصر الخادمـة أُمَـسُ، وبكـت كثـيرًا ثـم قالـت:

"يـا سـيدة أُمَـسُ، اشرحـي لخالتـي سـبب بـكائي، أنـا لسـت إنسـانة جاحـدة كـما تعتقـد خالتـي، أمـس بكيـت طويـلًا لشـعوري بأننـي كنـت مخطئـة، ولكـن يبـدو أن شـعوري لم يصـل إلى خالتـي أبـدًا، أرجـوك يـا سـيدة أُمَـسُ اشرحـي لهـا سـبب بـكائي".

وبينـما كانـت "طَـمِ" تبـكي، قالـت الخادمـة "أُمَـسُ" وهـي تبـكي أيضًـا مع بـكاء "طَـمِ":

"لك حق يا سيدتي أن تغضبي، ولكنك عنَّفتِ الآنسة طَمِ بناء على تصور خاطئ نحوها، أنت تعاملينها دائمًا بحب منذ طفولتها ولذلك تعرفين طبيعتها جيدًا، وأنا هنا منذ عامٍ، وأعرف أن الآنسة طَمِ إنسانة جميلة وهادئة وحنونة، وهي لم تحزن وتبكي لمجرد أنك عنفتِها قليلًا، وإنني سوف أقول كلامًا ربما يكون غريبًا، فأرجو ألا تشعرا بالضيق مني، وهو أن الآنسة طَمِ والسيد مَصَ كانا متقاربين، ولكن لسببٍ ما وفجأة افترقا، وبعد ذلك ساءت صحة الآنسة طَمِ وحزنت، لدرجة أنها كانت تتحسر عندما تشاهد سقوط أوراق الخريف، وتمتلئ عيناها بالدموع عندما تسمع نعيق الغراب، كانت في وضع لا تُحسد عليه، وضع تشعر فيه بضعفٍ ووهن، فإذا مسَّها أي شخص بشيء ولو بسيط كانت تبكي، وفي أثناء ذلك عنفتِها قليلًا، فلم تستطع التحمل، فبكت، وهذا ما أعتقده بصدقٍ، الآنسة طَمِ ليست الإنسانة التي تحزن لهذه الدرجة، لمجرد أنك عنفتِها قليلًا، ليست من هذا النوع، إنها إنسانة حنونة وحساسة ولقد عنفتِها لدرجة كبيرة، وإنني أشفق عليها وأتعاطف معها.

وفي الأصل فإن أمي لا تكره "طَمِ"، ولذلك بعد أن أنصتت إلى كلام الخادمة "أُمَسُ"، فجأة انفرجت أسارير وجهها، وقالت:

"فعلًا، أنت على صوابٍ وأنا أسأت الفهم، أحسنت توضيح الأمر يا سيدة أُمَسُ، لقد شعرت بالراحة الآن وفهمت ما تعني، لا تبكي يا طَمِ، توقفي عن البكاء، أنت أيضًا مسكينة، فعلًا لقد رحل عنا مَصَ إلى مدرسة المدينة، سوف يرجع آخر العام، يا سيدة أُمَسُ، اتركي عمل اليوم وأعدي لنا طعامًا شهيًّا".

وفي ذلك اليوم تقارب الثلاثة أكثر من ما مضى، وأعددن أطعمة كثيرة وشهية، وتناولن الشاي معًا وتسامرن، وقضين وقتًا ممتعًا، وكان ذلك اليوم بالنسبة إلى طَمِ ليس مثل باقي الأيام، فقد تعالت

ضحكاتها وعادت إليها حيويتها ورونقها، وقضت وقتًا ممتعًا، ولكن زوجة أخي كانت تستغل أي وقت فراغٍ لديها فتتحدث إلى أمي دائمًا بالسوء عن طَمِ وتحرضها عليها، إلى أن طردتها أمي، فعادت إلى منزل أسرتها في مدينة إتْشِكَوَ، وإلى هنا انتهى كلام الخادمة "أُمَسُ"، وفي اللحظة التي انتهى كلامها تركتُها فورًا ورجعتُ إلى المنزل.

فهمت جيدًا ما حدث في فترة غيابي بعد أن استمعت للخادمة، أهكذا صارت الأمور؟! بما أن أمي وزوجة أخي اتفقتا عليها، فشعرت هي أيضًا مثلي بعدم وجود مخرج لتلك المشكلة، شعرت بالإحباط، فلم تجد طريقة أخرى غير البكاء، ألهذا الحد عنَّفتها أمي؟! تبكي طوال الليل! وبينما كنت أفكر في كل ما قالته الخادمة "أُمَسُ"، لم أستطع كبح دموعي، سالت دموعٌ ساخنة، وظللت هكذا وأنا شارد الزهن، ولم أستطع تناول طعام الإفطار في ذلك اليوم، وقضيت معظم وقتي في الحقول والمراعي أتسكع هنا وهناك، هائمًا على وجهي.

ثم فجأة شعرت بأنني كرهت المنزل ولا أريد أن أظل فيه أكثر من هذا، وقلت لنفسي لو يمكنني أن أرحل إلى المدرسة قبل بداية العام الجديد سوف أفعل ذلك، ولكني لم أستطع فتحمَّلت وبقيت إلى أول يومٍ في العام الجديد، ثم في صباح اليوم التالي رحلت عن المنزل وعدت إلى المدينة حيث المدرسة.

ولكن في هذه المرة ذهبت إلى مدينة "إتْشِكَوَ" سالكًا الطريق البري، ثم من هناك ركبت القطار إلى مدينة " تْشِبَ"؛ حيث المدرسة، وعندما كنت في مدينة "إتْشِكَوَ" مررتُ بالقرب من منزل "طَمِ"، ولكني شعرتُ بالحرج الشديد من زيارتها، ولذلك لم أفعل، ولو استطاعت هي مقابلتي من المؤكد أن ذلك سوف يسبِّب لها مشكلات، وكلما مررتُ بالقرب من منزلها في أثناء السفر من وإلى المدرسة، أقول لنفسي سوف أمرُّ عليها، ولكني لم أفعل أبدًا.

عندما نفكر في الحياة، نجد أن مشاعر الإنسان تتغير من وقتٍ إلى آخر، فقبل العام الماضي، كانت "طَمِ" تأتي إلى منزلنا من حين إلى آخر، ولو لم تأتِ كنت أذهب أنا إلى منزلها أيام الآحاد، وعندما كنت أذهب، كنت أظل في المنزل ولا أقابل أحدًا غير أهل المنزل، كنت دائمًا أنادي جدتي، وأقول:

"يا جدتي، أين طَمِ".

لدرجة عندما كنت أذهب إلى منزل "طَمِ" كانت جدتي بدلًا من أن تنادي أهل المنزل لتبلغهم بوصولي كانت تقول:

"يا طَمِ، مَصَ قد جاء".

وذلك لأنني لم أكن أتحدث إلا معها.

وكنت دائمًا أذهب إليها فورًا، وغالبًا كنت أجدها في حديقة المنزل تقطف زهور الأقحوان، فكنت اصطحبها من دون رغبتها إلى ناحية الباب الخلفي للمنزل، وأصعد معها على سلم، ثم أستند إليها كي أنتقل من السلم إلى شجرة البرسيمون، فأتسلّقها وأقطع ست ثمرات وأنزل، وعندما كنت أعطيها ثلاث ثمرات برسيمون كانت ترفض وتقول إن واحدة فقط كافية لها، فآخذ أنا الخمس ثمرات وأخرج من الباب الخلفي وأعود إلى منزلي، وقد انتقدني أهل منزل "طَمِ" على ذلك التصرف، أما هي فكانت تضحك ولم تقل ما يسيء إليَّ، وإلى هذا الحد لم يكن بيني وبين "طَمِ" حواجز، ولكن بعد أن تيقنت من أنني أحبها، أصبحت أشعر بالخجل عندما أمرُّ على مدينتها.

ولم أرجع إلى قريتي في إجازة الصيف ذلك العام، ولم أكن أنوي الرجوع إلى قريتي في نهاية العام أيضًا، ولكن وصلتني رسالة من أمي تطلب مني الرجوع حتى ولو يومًا أو يومين، فرجعت ليلة الواحد والثلاثين من شهر ديسمبر، وكانت الخادمة "أُمَسُ" قد تركت العمل مع انتهاء هذا العام، ولذلك لم تكن موجودة في المنزل، وهذا يعني

عدم وجود مَن أرغب في محادثته، فقررت أن أبقى أول يوم في العام الجديد وأن أرحل اليوم الثاني، وعندما كنت على وشك الرحيل، إذ بأمي تقول لي:

"لعلمك "طَمِ" تزوجت، تزوجت في شهر نوفمبر من العام الماضي، والزوج شخص من عائلة ثرية جدًّا من مدينة إتْشِكَوَ".

فرددت عليها بعدم اكتراث، وقلت:

"عُلِم".

عندما سمعت أن "طَمِ" تزوجت، شعرت أن ما حدث شيء عادي، فتعجبت من نفسي، كيف لي أن أشعر بذلك الشعور، ولم تتحرك داخلي أي مشاعر تجاهها حتى. كما أنني توقعت أن يكون هناك سببٌ ما لأن تتخذ تلك الخطوة، وعلى كل حال ما حدث حقيقة لا يمكن إنكارها، ومن دون تفلسف وبصرف النظر عن الوضع الذي كانت فيه وأدى إلى أن تفعل ذلك، فإن مشاعري تجاهها لم ولن تتغير أبدًا مهما حدث. وبصرف النظر إن كانت ما فعلته زواجًا أم شيئًا آخر، ستظل "طَمِ" التي أعرفها، ولن تتغير مشاعري تجاهها أبدًا ولا حتى قيد أنملة، وأعتقد أن مشاعرها تجاهي لن تتغير كذلك، وثقتي التامة بأن مشاعرنا تجاه بعضنا ثابتة ستظل إلى الأبد، ولذلك عندما سمعت بأمر زواجها، كانت مشاعري ثابتة ولم تتحرك، لم تتحرك لعدم وجود ما يجعلني أشعر بالخوف، أنا واثق بمشاعرنا تجاه بعضنا، ولكن من ذلك خطرت لي فكرة، شغلتني وتشغلني حتى الآن، وهي أن "طَمِ" ليست في حالة صحة جيدة، من المؤكد أنها نحفت وضعفت وحالتها النفسية تدهورت، ورويدًا رويدًا نما عندي شعورٌ بأنها تعيش في معاناة شديدة، وهذا جعلني أفعل العكس مقارنة بالسابق، في السابق كنت أتعمَّد حشر نفسي وسط الناس كي أهرب من آلام التفكير المستمر، ولكن الآن أتعمَّد الهروب من الناس، كي

أصبح وحيدًا، وأطلق لنفسي العنان للتفكير فيها، فقد أصبح التفكير فيها يجلب لي النشوة والفرحة والسعادة، فأتذكر عندما كنَّا معًا في حقل الباذنجان، وفي حقل القطن، أحزان ليلة الثالث عشر، والوداع عند مرسى قوارب "يَكِر"، وكنت أفكر في ذلك مرارًا وتكرارًا، وكان هذا يساعدني على مواساة نفسي بنفسي، وكلما فكرت فيها وتذكرتها شعرتُ بانشراحٍ في صدري وراحة نفسية. طبعًا في بعض الأحيان كنت أشعر بحزن وأبكي كثيراً، ولكن بعد انتهاء البكاء كنت أشعر براحة نفسية، وعلى العكس لم يعيقني التفكير في "طَمِ" عن تحصيل العلم، بل كانت نتائجي الدراسية جيدة، وقد كنت مندهشًا من حدوث ذلك، وإن كنت لا أجد تفسيراً له، لكن على أي حالٍ، هذا ما حدث في الواقع.

ومرّت الشهور، شهر تلو الآخر، وجاء يوم الثاني والعشرين من شهر يونيو، وكنت مشغولًا بالتفكير في حل مسائل حسابية صعبة، وإذا بحارس دار إقامة الطلاب التي أسكن فيه، يأتي ويضع ورقة فوق طاولة المذاكرة الخاصة بي، ويقول إنه تلغراف من أسرتي ثم تركني، فقرأت المكتوب وكان "ارجع فورًا"، فأخبرت مدير الدار بذلك، وسافرت في الحال عائدًا إلى قريتي، وكان قلبي يدق بسرعة لأني لا أعرف ماذا حدث، وعندما وصلت، وجدت المنزل هادئًا والظلام يحيط بالمكان لعدم سطوع القمر، وكانوا جالسين في حجرة الطعام لأن الوقت هو وقت العشاء، ولم يكن هناك أي شيء غريب، ما عدا أمي لم تكن معهم، ولكني لم أدخل حجرة الطعام ولم ألقي التحية على مَن بداخلها، بل أسرعت بالذهاب إلى حجرة أمي. كان المصباح إضاءته خافتة، وأمي تجلس على مقعدٍ خلف المنضدة وقد استلقت على جانبها فوق المنضدة، فقلت:

- أمي، هل حدث خطبًا ما؟

- مَن! مَض! لقد رجعت بسرعة! سوف أستيقظ الآن، ولكن من المؤكد أنك لم تتناول الطعام بعد، اذهب وتناول الطعام أولًا.

لم أفهم ما الأمر وكنت قلقًا، ولكن فعلت كما قالت أمي، ذهبت إلى تناول الطعام بسرعة، ثم رجعت إلى حجرة نومها، ربطت أمي حزامًا فوق ردائها ربطة قوية، ثم جلست فوق وسادة، فجلستُ في مواجهتها ولكن لم تقل شيئًا، كانت صامتة وتنظر إلى أسفل، وعندما تفحصت وجهها وجدتها تبكي، كأنها سماء تمطر مطرًا غزيرًا، فقلت:

- يا أمي، ماذا حدث؟

وظللت أحثُّها على أن تتحدث، وفي النهاية مسحت دموعها، وقالت:

- مَض، تحمَّل ما سوف أقوله، طَمِ ماتت، أشعر كأنني أنا مَن تسببت في ذلك.

- متى حدث ذلك؟ وكيف ماتت؟

وظللت أكرر عليها السؤال مرات ومرات، ولكنها كانت تخفي وجهها بكلتا يديها، وتحشرج صوتها وبكت، وظل صوتها يتحشرج وتبكي مرارًا وتكرارًا، وأخيرًا قالت:

- عندما تسمع ما سأحكيه سوف تقول عني إنني أم فظيعة، أرجو أن تتحمَّل ما سوف أقوله، هناك شيء لم أخبرك به، وهو أنني ضغطت على طَمِ كي تتزوج، رغم أنها كانت رافضة للزواج، وللأسف ما حدث كان بسبب ضغطي عليها، حتى لو الفتاة أكبر سنًّا من الفتى، إن كان الاثنان يرغبان في الزواج بإرادتهما، لا يجب على الأهل التدخل في هذا الأمر بحجة أنهم يعرفون أكثر من أبنائهم، ومن حقهم التدخل فيما يخصهم. أنا أم غبية، تدخلت بقوة فيما لا يعنيني، والنتيجة

أن حدث ما حدث ولا يمكن إعادة الأمر على ما كان عليه. ما فعلته فيها يساوي القتل، أرجوك تحمل ما حدث، يا مَصَ، أنا أريد أن ألحق بها.

ثم بدأت في العويل والبكاء من دون توقف، وكل ما سمعته واستوعبته، أن "طَمِ" ماتت، أما باقي ما قالته، فلم أسمعه ولم أستوعبه؛ وعندما سمعت أن "طَمِ" ماتت، حدثت لي صدمة، أفقدتني استيعاب ما يحدث حولي، لم أستطع سماع أمي التي كانت أمام عيني، ولم أستطع البكاء، وأخذت أسير في المكان ذهابًا وإيابًا، من دون هدفٍ، ودون معرفة بما يجب أن أفعله، وفي أثناء ذلك دخلت زوجة أخي، وقالت:

- لا فائدة من البكاء.

ولكن أمي ردَّت عليها بغير اهتمامٍ، وقالت: اتركيني أبكي، أريد أن أبكي، فآثرت السلامة وصمتت.

تحدثت زوجة أخي قليلًا عن الموضوع، فقالت: العريس من مدينة "إتْشِكَوَ"، ومن عائلة كبيرة وهو معروف بحسن سلوكه وسمعته، وممتلكاته وثروته، وقد كانت له رغبة قوية في الزواج من "طَمِ"، كما أن الخاطبة، كانت علاقتها قوية بعائلة "طَمِ"، وطلبت بالحاحٍ أن تقبل الزواج منه، ولكنها أصرَّت على الرفض، وأنا كنت أعلم جيدًا ما في داخلها، وسبب رفضها، لكن بالنسبة إليك، فهي أكبر منك سنًّا، وهذه مسألة لن تُحَل مع مرور الوقت، إنها مشكلة دائمة وأزلية مع الحياة، كما أن رغبة أسرة "طَمِ" وكذلك الأهل والأقارب جميعًا كانت أن تتزوج ذلك العريس، وطلب الجميع من أمك أن تستوضح سبب رفضها، فسألتها أمك عدة مرات لماذا لا ترغب في زواج ذلك العريس، ولكن طَمِ بكت ولم تُجِب، فقالت لها أمك إنها إذا كانت متمسكة بالرفض لأنها تنتظر الزواج منك، فإنها سوف

ترفض زواجكم. ثم سألتها إن كانت لديها رغبة في تغيير رأيها بالنسبة إلى الزواج من ذلك العريس بعد أن علمت أن أمنيتها بالزواج منك لن تتحقق، وعندما سمعت "طَمِ" ذلك شعرت بالإحباط، ووجدت أنه لا مفرَّ من الرفض، فاستسلمت ووافقت على العريس كما يرغب الجميع، ومنذ ذلك الحين أصبحت لا تعترض على أي شيء يُقال لها، وتم الزواج في منتصف شهر نوفمبر، ولكنها فعلت ذلك رغمًا عنها، وافقت ظاهريًّا بقولها فقط، ولم توافق من قلبها، وأما العريس فقد شعر بالضيق من معاملتها له، ومع ذلك حملت، ولكن في شهر يونيو سقط الحمل، ولم تستطع استعادة صحتها، بل ساءت صحتها أكثر. وفي يوم التاسع عشر من شهر يونيو فارقت الحياة، وفي أثناء مرضها فكر أهلها أن يبلغوا أمك بذلك، ولكنهم شعروا بالخجل، لأنهم تأخروا في الإبلاغ؛ فقد كانت في الرمق الأخير، فقرروا ألا يخبروا أمك، وعندما كانت "طَمِ" لا تزال على قيد الحياة وتستطيع التحدث، سافرت أمك إلى منزلها في مدينة "إتْشِكَوَ"، ولكن عندما شاهدت "طَمِ"، شعرت أنها تحتضر وأنها سوف تموت، فبكت أمك ولم تتوقف عن البكاء عليها حتى بعد عودتها إلى منزلكم، وكلما تحدثت عن الأمر تقول إنها السبب فيما يحدث، وقد قالت أمك إنها تشعر بأن أيام "صَمِ" أصبحت معدودة، وإنها أرسلتها إلى منزل أسرتها في مدينة "إتْشِكَوَ"، ولكنها هنا الآن ولا تعرف ما يجري هناك، وبعد ذلك ذهبت أمس بالسيارة إلى منزل "طَمِ"، ومن وقت علمها بموتها، تبكي كلما تحدثت، وتقول: أنا المخطئة، أنا السبب في موتها، ولم يستطع أحد مساعدتها على تخطي هذه المحنة. ثم أرسلت إليك تلغرافًا كي تأتي. حال أمك يدعو إلى الشفقة، وكذلك ما حدث لـ "طَمِ" شيء محزن، لقد حدث ما لم يتخيله أحد، ولا نعرف ما الذي يجب فعله لأمك.

سمعت ما قالته زوجة أخي وفهمته، ولكن لم أفهم طلبها مني عما يجب فعله لأمي، سؤال غير منطقي بالنسبة إليَّ، أمي مصابة بحالة

هستيرية، جنون مؤقت، ولا أعرف ماذا يجب أن أفعل لها، ولكن أعتقد أن أول ما يجب التفكير فيه هو تهدئتها ومواساتها، ولكنني لا أستطيع مواساتها، فحالتي أسوأ منها بكثيرٍ، أنا جُننت جنونًا كاملًا، فكيف لي أن أواسيها، ليس عندي أي طاقة نفسية لفعل ذلك، وبينما كنت أفكر في هذا وذاك، إذا بأمي تهدأ قليلًا، ثم تبدأ الكلام فتقول:

- يا مَصَ، أنصت إليَّ، أنا متعجبة على درجة ما كان بداخلي من شر، كيف تجرأت أن أقول لها قولًا فظيعًا مثل ذلك، وطبعًا الآن لا فائدة من الندم، مهما ندمت لن يتغير شيء، لقد قلت لها: أنني لن أوافق على زواجها بك، ولذلك يجب عليها أن تتزوج شخصًا آخر. نعم لقد قلت لها ذلك، طبيعي أنها عندما تسمع ذلك، أن تشعر بأنه لا أمل في الزواج بك، طبيعي أن تشعر بالإحباط، لماذا قلت هذا الكلام القاسي جدًا لها! آآآه، لقد قسوتُ عليها بشدة، وأحزنتها حزنًا شديدًا، إنها ماتت بسبب ما أظهرته لها من شر، يا مَصَ، عند طلوع الفجر تذهب فورًا إلى قبرها، وتعتذر لها عما بدر مني من إساءة إليها، هل فهمت! افعل ذلك.

وهنا شعرت أخيرًا بأنني أستطيع البكاء، حتى لو كانت "طَمِ"، فقدت الأمل في الارتباط بي، كان يجب عليهم أن يرسلوا إليَّ كي أراها قبل موتها، ولكن أن يرسلوا إليَّ بعد أن ماتت فهذه قسوة ما بعدها قسوة، كما أنها كانت طبعًا تريد أن تراني، حتى لو كانت تزوجت فهذا ليس عذرًا مقبولًا كي لا يجعلونا نرى بعضنا وخاصة وهي على فراش الموت، أكيد أنها كانت ترغب في رؤيتي قبل أن تموت، شيء محزن للغاية لا يمكن أن يتصوره عقل. عندما أفكر في ذلك الآن أشعر أنني كنت طفلًا ساذجًا جدًا؛ لقد مررت بمدينة "إتْشِكَوَ" ثلاث مرات، ولكني لم أمر على "طَمِ"، أشعر الآن بالحزن أنني لم أمر عليها، ولكن شعوري هذا لا فائدة منه الآن، وبصرف النظر عن أنها تزوجت أم لا،

كنت أريد أن أقابلها فقط، حتى ولو سألقي عليها نظرة واحدة من بعيدٍ. لقد اندفعت مشاعري شعور تلو الآخر، وعندما قالت لي أمي أن أذهب إلى قبرها، شعرت بغليان في قلبي ورغبة في قتل أمي، وهنا أدركت أنني خرجت من صدمتي ورجعت إلى الواقع.

وقلتُ:

- يا أمي، فعلًا طَمِ مسكينة، ما حدث لها محزن، ولكنها ذهبت ولا يمكن أن تعود، ولذلك لا فائدة من الندم، مهما ندمت لن تعود، ليس في أيدينا شيء إلا أن ندعو لها بالرحمة ونتذكرها بالخير ونواسي أهلها. أنت تقولين إنك أخطأت في حقها، ولكن أنت فعلت ما فعلت بدافع الحب لها ولي، والنتيجة لم تكن كما توقعتِ، فاعتقدتِ أنني وهي كرهناك، نحن كنا نشعر أن مشاعرك نحونا مشاعر فياضة وصادقة تهدف إلى ما تعتقدين أنه خير لنا، ولذلك لم نكرهك أبدًا، وكل ما حدث كان قضاءً وقدرًا، أنا راضٍ بما حدث، وأرجو أن ترضي أنت أيضًا يا أمي، وغدًا باكرًا عند طلوع الفجر سوف أذهب فورًا إلى مدينة إتْشِكَوَ.

فقالت أمي:

- فعلًا، كل شيء في هذه الحياة قضاء وقدر، ولكني هذه المرة ندمت ندمًا شديدًا على ما فعلت، وكما تقول المقولة الشهيرة "الآباء والأمهات حمقى"، فإنني فعلًا حمقاء جدًّا، لأنني ارتكبت خطأ كبيرًا لا يصدقه عقل، أنا كأم كنت متخيلة أنني أعي كل شيء، وبناء على ذلك تصرفت، ولكن تصرفي هذه المرة كان خاطئًا للغاية، وليس أمامي إلا الرب أتجه إليه أن ينقذني مما أعانيه، يا مَصَ، أرجو أن تهتم بصحتك، وقد تذكرت الآن أن طَمِ لم يسبق لها أن عارضتني أبدًا طوال حياتها، كانت فتاة

مطيعـة، يجـب أن أنـدم بشـدة عـلى مـا فعلـت، لا أسـتطيع تحمُّـل حـزني عليهـا، مسـكينة، عانـت كثـيرًا، وكنـت أريـد أن أخـبرك بحـال طَـمٍ قبـل وفاتهـا، ولكـن لا أسـتطيع فعـل ذلـك الآن.

ثـم أجهشـت بالبـكاء مـرة أخـرى، وكلـما تحدثنـا شـعرنا بالحـزن، فلـم نجـد مفـرًّا مـن ذلـك إلا أن ننـام جميعًـا.

وقـد كنـت أتحمَّـل مشـقة حبـس دموعـي أمـام أمـي وأخـي وزوجتـه، ولكـن عندمـا رجعـت إلى حجـرة نومـي، دخلـت الناموسـية وجلسـت عـلى الوسـادة، وانفجـرت في البـكاء، ولكننـي وضعـت منشـفة عـلى فمـي وتركـت دموعـي تسـيل كـما تشـاء، وظلـت دموعـي تسـيل مـن دون توقـف إلى أن سـمعت صـوت أمـي مـن الحجـرة المجـاورة وهـي تقـول:

- الشروق.

وكنـت نائمًـا بملابـس الخـروج التـي أتيـت بهـا مـن السـفر، فقمـت فـورًا وألقيـت بعـض المـاء عـلى وجهـي، وخرجـت عـلى الفـور مسرعًـا، وكنَّا في فـترة انبـلاج نـور النهـار، فـترة مـا بـين ظهـور بعـض خيـوط النهـار وبـين الظلمـة، فجريـت ثمانيـة كيلومـترات كالريـاح، وعندمـا أطلَّـت الشـمس بنورهـا مـن عـلى خـط الأفـق، كنـت أمـام بوابـة منـزل "طَـمٍ"، ومـن عـلى البوابـة الخارجيـة للمنـزل، اسـتطعت رؤيـة الحديقـة الداخليـة وكذلـك الموقـد والمطبـخ، وسـمعت أصـوات طقطقـة أعـواد القمـح وهـي تشـتعل داخـل الموقـد، ثـم ذهبـت فوقفـت أمـام شرفـة المنـزل، فـإذا بسـيدة مسـنَّة كانـت في آخـر مـكان في المنـزل تلمحنـي بسرعـة، وتصيـح بصـوتٍ عـالٍ:

- كَنِيَـا، طُمِيَـا، تعاليـا، لقـد جـاء السـيد مَـصَ، شـكرًا جزيـلًا عـلى حضـورك، تفضَّـل بالدخـول إلى المنـزل، فـما زال الوقـت مبكـرًا جـدًّا. مـن المؤكـد أنـك اسـتيقظت صباحًـا وخرجـت مـن المنـزل في الحـال، هيـا احـضروا بسرعـة، هيـا يـا كَنِيَـا.

فحضر كل من والد "طَمِ" وأمها وأختها الكبرى، فقالوا لي:

- شكرًا جزيلًا على حضورك، كنَّا منتظرين حضورك بفارغ الصبر، تفضل أولًا بالدخول وتناول طعام الإفطار.

ولكني وقفت ساكنًا، لم أدخل ولم أجلس، وبعد برهة قلت:

- - لقد حضرت لزيارة قبر الآنسة طَمِ.

شاهدوا في نظراتي شوقًا وحماسًا إلى زيارة قبرها، فصمت الجميع، وبعد برهة قال أبوها:

- نعم سوف تفعل، ولكن تفضَّل أولًا بتناول الطعام ثم تذهب.

فلم يجد مني استجابة، فقال:

- حسنًا، سوف نذهب جميعًا معًا، ولو أني كنت أفضل أن تستريح وتبدل ملابسك.

فقامت السيدات كي يذهبن إلى القبر ومخاط أنوفهن يتسايل من أثر البكاء، فأخذنا ماءً وبخورًا وزهورًا كثيرة من حديقة المنزل، وقسمنا غصون نباتات أنقولية وغصون نباتات "القنطريون" العنبري وزهور داليا إلى باقات، وكلٌّ منَّا حمل باقة في يده، وسرنا تحت شجرة البرسيمون، ومررنا من الباب الخلفي للمنزل، ثم خرجنا من البوابة الخلفية للسور المكوَّن من أشجار "بودوكاربس"، فوجدنا أشجار القيقب، وسرنا فوجدنا غابة من أشجار الصنوبر، ثم سرنا في حدائق كمثرى، فوصلنا إلى حقلٍ صغيرٍ للأرز، ووجدنا أشجار السرو وأشجار الأرز اليابانية في ركنٍ من غابة صنوبر؛ حيث يوجد هناك الكثير من القبور، وكانت مقبرة عائلة "طَمِ" منفصلة عن باقي المقابر، وتحتل مساحة أرض ما يزيد على عشرين مترًا، ويتوسطها خمس أشجار "إليكس انتيجرا"، وكان يوجد في ذلك المكان المميز قبرٌ جديدٌ، وكان ذلك القبر هو منزل "طَمِ" الأبدي، وبعد أن وضعنا رفاتها في القبر،

ولعدم سقوط الأمطار، فقد كانت الأشياء التي تُستخدم في طقوس ما بعد الدفن، كما هي لم يصبها أي ضرر، ثم تقدمت جدتها، وقالت:

- تفضل يا سيد مَصَ بالقيام بجميع الطقوس بيدك أنت، من أجل طَمِ، ضع البخور على قبرها بنفسك، أنت بالنسبة إليها أفضل من ألف راهب يفعلون ذلك، وتفضَّل قِف أمام قبرها وأدعو لها كما تشاء وخذ الوقت الذي تراه في الدعاء لها، هي في العالم الآخر، ولكن أكيد أنها سوف تكون سعيدة جدًّا اليوم أنك هنا وتقوم بعمل طقوسها بنفسك. كنت أتمنى لك أن تقابلها حتى ولو مرة واحدة قبل أن تغلق عينيها إلى الأبد.

وبينما كان الثلاثة يمسحون دموعهم، كنت أشعل النار في البخور وأضع الزهور وأنثر الماء على قبرها، ثم أحنيت رأسي وصليت إلى أن شعرتُ بالرضا. وإن كان لا حيلة في الموت، ولكني شعرتُ بالندم لأنني كنت أريد أن أقابلها، أو ألقي عليها مجرد نظرة واحدة حتى، في أثناء ما كانت تشعر بالمعاناة وهي مريضة، كنت أريد مقابلتها وكانت هي أيضًا بالتأكيد تريد مقابلتي، أُجبِرت على الزواج، ومن المؤكد أن ذلك جعلها تستحي النظر إلى وجهي، شيء محزن أن يصل بها الحال إلى هذه الدرجة، لقد كانت إنسانة رقيقة ومطيعة، ولذلك عندما ضغط عليها الأهل والأقارب لم تستطع عصيانهم، لو كانت إنسانة جريئة لكانت انتحرت، ولكنها رقيقة ولم تستطع فعل ذلك، ورغم أنها تزوجت، استمرت مشاعري تجاهها ولم تتغير أبدًا، كنت أريد أن أفصح لها عن كلمة واحدة قبل أن تموت، يُقال إن الحياة شر، فهل الشر يصل إلى هذه الدرجة! أنا أيضًا كنت لا أريد أن أعيش وقتها، وبعد ذلك من دون أن أعي خرج من فهمي صوت عويل، وسقطت على ركبتي ويديَّ، ثم سقطت على الأرض.

وعندما شاهدوا أن حالي قد وصل إلى هذه الدرجة، بكوا بكاءً حارًا من دون توقف، وكنت أنا في عالم آخر، ثم بعد فترة تنبهت إلى أني لست بمفردي، حولي آخرون، فوقفت، فقال أحدهم:

- لماذا لم تخبرنا طَمِ أي شيء عن السيد مَصَ!!

فقال آخر:

- لو كنَّا نعلم أنهما يفكران في بعضهما، ما كنَّا دفعناها بشدة هكذا كي تتزوج.

فردَّ آخر:

- كنت أخمِّن قليلًا عن مشاعرها نحو مَصَ، ولكنني لم أكن أعرف مشاعره نحوها، فضغطت عليها كي تقبل ذلك العريس، رغم أنها كانت كارهة زواجه، صحيح أن مَصَ أصغر منها، ولكن ليس لدرجة أن نضغط عليها هكذا، لقد ضغطنا عليها أكثر من اللازم، مسكينة يا طَمِ.

ثم وضع الثلاثة الزهور على قبرها وأشعلوا بخورًا، ونثروا الماء، وإذا بجدتها تقول لي:

- يا سيد مَصَ، من فضلك قُم باستكمال الطقوس، أنت أكثر من يشعر بها، وأكيد صلاتك ودعواتك سوف تكون مقبولة، يا طَمِ ارجعي إلى الإله راضية، يا طَمِ ارجعي إلى الإله راضية.

فأخرجت ما في جيبي من أدوات طقوس وبدأت في العمل، وبينما أقوم بعمل الطقوس خطرت على بالي فكرة، وهي أن طَمِ كانت تحب زهور الأقحوان البري، فقلت لنفسي كان من المفترض أن آتي بها وأزرعها بجانب رفاتها، ولم لا آتي بها الآن! فنظرت حولنا، واندهشت أنها كانت تنمو بالقرب منا هنا وهناك، ويبدو أن بعض المعزين قد داسوا عليها، ولكن سيقانها ما زالت قائمة وخضراء ونضرة، لقد

دُفِنـت طَـمِ في داخـل منطقـة زهـور أقحـوان بـري، وبعـد أن هـدأتُ قليـلًا غادرنـا المكان.

ثـم قلـت لهـم ردًا عـلى دعـوتي إلى دخـول منزلهـم وتنـاول الطعـام، أننـي لا أريـد تنـاول الطعـام ولا شـاي ولا أي شيء، لأننـي يجـب أن أعـود إلى منـزلي؛ حيـث إننـي سـوف أسـافر غـدًا باكـرًا إلى المدرسـة في المدينـة. واسـتأذنتهم للانـصراف، وعندمـا هممـت للرحيـل، فـإذا بهـم يرفضـون رحيـلي، ويحاولـون إقناعـي بالبقـاء، ثـم قالـت والـدة طَـمِ ويبـدو عليهـا عـدم قدرتهـا عـلى كبـح حزنهـا:

"يـا سـيد مَـصَ، عندنـا مـا نريـد قولـه لـك، لـو تركتنـا هكـذا مـن دون أن تسـمع كلامنـا، لـن نشـعر بالراحـة أبـدًا، أنـا متفهـة جيـدًا مـا تشـعر بـه مـن حـزن وضيـق، لقـد تسـببنا في مـوت طَـمِ بطريقـة حزينـة لأننـا لم نفكـر بجديـة في مشـاعرها تجاهـك، إننـي تسـببت لـك أيضًـا في حـزن، لا يمكـن أن تغفـره، وإني لا أملـك إلا أن أعتـذر لـك اعتـذارًا شـديدًا مـن كل جوارحـي عـلى مـا حـدث، إذا كنـت تشـعر أن مـا حـدث لهـا شيء محـزن، مـن فضلـك انتظـر واسـمع كلامنـا، ثـم اذهـب بعـد ذلـك، وبـصرف النظـر إذا كنـت سـوف تسـافر اليـوم أو غـدًا، لكنـا كنـا منتظريـن حضـورك كي نتحـدث إليـك، ولذلـك أرجـو ألا ترحـل الآن".

عندمـا قالـت والـدة طَـمِ ذلـك، لم أجـد مفـرًا من الإذعـان لهـا، فدخلت المنـزل حيـث حجـرة الاسـتقبال، وقدمـوا لي طعامًـا وشـايًا ولكنـي تناولـت القليـل إرضـاء لهـم، ثـم جـاء الجميـع، وقالـت جـدة طَـمِ:

"يـا سـيد مَـصَ، بالنسـبة إلى طَـمِ، أنـا أيضًـا لا أملـك إلا أن أعتـذر لـك بشـدة عـمّا حـدث، ولا أسـتطيع أن أرفـع عينـي في عينـك مـن الشـعور بالخجـل، مـن المؤكـد أنـك تشـعر بحـزنٍ كبـيرٍ، ولكـن أرجـو أن تنـسى مـا حـدث، لأنـه أصبـح ماضيًـا، وأن تسـامح وتعفـو وتـرضى بالقضـاء والقـدر،

وإن اعتذارنا لك، هو خير ما نفعله لها الآن، هو خير ما نقدمه على روحها من رحمة، وأكيد هو خير ما يسعدها".

فشعرت أن قلبي امتلأ عن آخره، ولا أستطيع الكلام، وهنا استمرت جدة "طَمِ" في حديثها فقالت:

"أقول لك الحقيقة، والدتك وكذلك والد ووالدة طَمِ لم يكونوا على دراية بأن العلاقة بينك وبين طَمِ، علاقة قوية لهذه الدرجة، لو كنا نعلم ما ضغطنا عليها كي تتزوج شخصًا آخر".

وهنا تدخلت وقلت:

"كانت علاقتنا قوية، ولكنها علاقة لم يمسها ما يشوبها".

فقالت:

"لا أقصد أن أقول إنه كان هناك ما يسوء، ولكني أقصد أن علاقتكما كانت علاقة ودٍّ شديدٍ، ولكننا لم نكن نعلم ذلك، لأن طَمِ كانت طفلة كتومة، فلم تتحدث عنك أبدًا، ولا أقول إننا لم نكن نعرف تمامًا، ولذلك أعتذر عن عدم علمنا بأنها كانت علاقة ود شديد لهذه الدرجة".

فقلت لهم لا أرى ضرورة كي تعتذروا لي، فطلب أبوها أن أعطيه فرصة كي يعتذر لي هو أيضًا فقال:

"فعلًا، ما قلته يا سيد مَصَ حقيقة، وأنا فعلت ما رأيته صوابًا من وجهة نظري الشخصية، وسوف أقول لك ما أراه أيضًا من وجهة نظري، وأرجو أن تنصت إليه جيدًا. ربما لا يكون كلامًا عقلانيًا، ولا أعرف إذا كان شيئًا جيدًا أن أقول ذلك كأب أم لا. طَمِ ضحت بحبها الذي كان أهم ما في حياتها، من أجل طاعة والديها، فكرت أنها لا يجب أن تتجاهل أوامر والديها، ولذلك ضغطت على نفسها وكبتت مشاعرها ونفذت ما أمرناها به، ولكن ذلك كان أكثر من قدرتها على

التحمـل، وكان هـذا هـو السـبب الـذي أدى إلى وفاتهـا، وكـما قلـت أنـت ضمنيًـا، أنـك لـو كنـت مـكاني في هـذا الوضـع سـوف تحـزن ولـن تجـد مـا تفعلـه، فعـلًا هـذا صحيـح، ولكـن مـا أريـد أن أقولـه بالتأكيـد أنكـما لم ترتكبـا مـا يشـين، ومـع ذلـك ماتـت ابنتـي مـما جعلنـي كأب أشـعر بحـزنٍ شـديدٍ، وكـما تـرى فـإن طَـمِ كانـت ابنـة مطيعـة، لدرجـة أنهـا فضَّلـت المـوت عـلى مشـاعرها، فإنهـا لم تتجاهـل الانصيـاع لأوامـري ولـو حتـى مـرة واحـدة طـوال حياتهـا، ولقـد فكـرت في هـذا الموضـوع مليًـا، فكـرت فيـه مـن جوانـب مختلفـة وتوصَّلـتُ إلى أننـي كنـت أبًـا قاسيًـا، لم أفكـر في أن لهـا مشـاعر يجـب أخذهـا في عـين الاعتبـار، تجاهلـت مشـاعرها كليـة. يـا سـيد مَـصَ، مـن فضلـك سـامحني، فكـما تـرى بعينيـك، نحـن عائلتهـا نعيـش في حـزن ليـلًا ونهـارًا، نـرى الدنيـا مظلمـة دائمًـا، مـا فعلنـاه حماقـة، ولكـن اسـتماعك لحديثنـا عـن مشـاعرنا الحزينـة عليهـا، أفضـل عـزاء لنـا، ويهـوِّن علينـا فراقهـا. لقـد قلـتُ كلامًـا يـدل عـلى أننـي أحمـق، وأننـي تصرفـت بطريقـة لا تليـق بسـني، ولكـن أرجـو أن تسـمع بقيـة الـكلام".

وهنـا تدخلـت جدتهـا وتحدثـت، وقـد بـدأ حديثهـا عـن الـزواج وتدريجيًـا تحـوَّل إلى موضوعـات صعبـة، وكان محتـوى كلامهـا مثـل محتـوى كلام زوجـة أخـي، وكان الـكلام الـذي قالتـه وقتهـا كالآتي:

- في اليـوم السـابع عـشر مـن شـهر يونيـو، جـاء الطبيـب، وقـال لم يتبـقَّ لهـا عـلى قيـد الحيـاة، إلا يـوم أو يومـان، فـإذا أردتـم إخبـار الأقـارب، افعلـوا ذلـك اليـوم، فأخبرنـا أمـك، فجـاءت صبـاح يـوم الثامـن عـشر، وفي ذلـك اليـوم كان يبـدو مـن ملامـح وجـه طَـمِ أنهـا بخـيرٍ، وقـد اسـتطاعت أيضًـا الـكلام، وعندمـا جـاءت أمـك قالـت لهـا: لا يجـب أن تضعفـي هكـذا وتستسـلمي يـا طَـمِ، يجـب عليـك الآن أن تتشـجعي وتقاومـي كي تتعـافي، فابتسـمت طَـمِ فرحًـا وقالـت لأمـك: شـكرًا جزيـلًا عـلى معاملتـك الجيـدة لي دائمًـا، هـذا معـروف لـن أنسـاه حتـى بعـد مـوتي، أنـا لـن أعيـش طويـلًا.

فقالت أمك لها: لا تفكري في ذلك، لا تستسلمي، هذا لن يحدث، يجب أن تكوني قوية. وبعد برهة من الصمت، قالت طَمِ لأمك: رغبتي الدفينة في قلبي أن أموت، لو مت سوف أستريح، ثم قالت شيئًا ما بصوتٍ خفيضٍ للغاية، لدرجة أنه لم يخرج من فمها، ولم نستطع سماعه، ولكن من المؤكد أنها ذكرت اسمك، ولم تنطق بعد ذلك كلمة واحدة، كان هذا آخر ما قالته، ومع نهاية هذه الليلة ومع بداية اليوم الجديد توقفت أنفاسها. وبعد طلوع الفجر حينما قامت أمها بإصلاح وضع الوسادة التي كانت تحت رأسها، وجدتها تضع يدها اليسرى على قلبها وتقبض منديل حرير أحمر بداخله شيء ما صغير، فاجتمعنا وتناقشنا ماذا نفعل حيال ذلك، فقال أبوها ماتت حزينة ولكن لا يُعقَل أن تموت هكذا من دون معرفة ما داخل يدها، فقررنا فتحها، ففتحتها أمام الجميع، فكان بداخلها صورتك ورسالة منك.

ثم بدأت جدتها في البكاء وتبعها الآخرون يبكون ويمسحون دموعهم، فنظرت إلى الأرض وظللت أحدق إليها، وبعد برهة استرسلت جدتها في الكلام:

- وقد قرأت أخت طَمِ الكبيرة تلك الرسالة، فبكينا جميعًا بصوتٍ عالٍ، ورغم أن أباها لا يجب أن يبكي لأنه رجل، فإنه بكى أيضًا معنا نحن النساء وبصوتٍ عالٍ جدًّا، أما أمك فقد بكت بحرقة وانفعالٍ، لدرجة أنها كانت على وشك الجنون، أخطأنا أننا أجبرناها على الزواج، من دون علم أن ما بينكما غرام قد وصل إلى هذه الدرجة، آآآه، لقد فعلت فعلة نكراء، يا للحسرة والخزي والعار، يا سيد مَصَ، اصبر وتحمَّل ما حدث، أنا مذنبة وأرجو أن تسامحني، وعندما ماتت، صرخنا فجأة صراخًا يزلزل الأرض، لدرجة أن الجيران جاؤوا يهرعون، ويسألون

عـما حـدث، كـما أن أمـك لم تتوقـف أبـدًا، فخشـيت أن يحـدث لهـا مـا لا يحمـد عقبـاه، ولذلـك بمجـرد انتهـاء العـزاء، اصطحبتها بسـيارة إلى منزلهـا، وعندمـا أدركنـا مشـاعر طَـمِ، ندمنـا جميعًـا عـلى إجبارهـا عـلى الـزواج، ولكـن بعـد فـوات الأوان، فحزنا حزنًـا مـا بعـده حـزن، كلـما فكرنـا فيها حزنًـا عليهـا، مسـكينة، لا يتـوف تفكيرنـا فيهـا، ولا الحـزن عليهـا، وعـلى الأقـل، كنـا نريـد أن تـأتي يا سـيد مَـصَ كي نعتـذر لـك عـما فعلنـاه، وأن تتقـدم أنـت الصفـوف وتقـوم بعمـل طقـوس دفنهـا بيـدك، كي نشـعر بقليـلٍ مـن الراحـة، وهـذا مـا حـدث الآن، أردنـا أن نخـبرك أن طَـمِ لم تغـدر بـك، لم تـتركك، أرجـو أن تتفهـم أن طَـمِ ليسـت جانيـة، بـل مجنيًّـا عليهـا.

ومـع كل كلمـة سـواء، كانـت تُقـال كنـا ننكفـئ عـلى الأرض ونبـكي بحرقـة، وعندمـا سـمعت منهـم أن طَـمِ قالـت إنهـا ترغـب في المـوت، فهمـت جديًّـا، لمـاذا كانـت أمـي تشـعر بتأنيـب الضمـير، وتبـكي بحرقـة.

وهنا قاطعت كلامهم وتدخلت، وقلت:

- أيتهـا الجـدة، أنـا متفهـم كلامـك جـدًّا، فأنـا أعـرف مشـاعر طَـمِ جيـدًا، حتـى عندمـا علمـت أنهـا تزوجـت في ربيـع العـام المـاضي، وبـصرف النظـر عـن زواجهـا أو أي شيء آخـر، أنـا لم أشـك ولـو للحظـة واحـدة أنهـا باعتنـي، بدليـل أن مشـاعري تجاههـا ظلـت كـما هـي ولم تتغـير، وكل مـا قالتـه لي أمـي إن طَـمِ تزوجـت، ولم تتحـدث عـن شيء آخـر، وكانـت تبـكي فقـط طـوال الوقـت، وواضـح أن زواج طَـمِ لم يكـن عـلى أسـاس نيـة سـيئة مـن الجميـع، ولذلـك لم أكرههـا ولم أكـره الجميـع، وأنـا مقتنـع أن كل مـا حـدث كان قضـاء وقـدرًا، وسـوف أحـضر باسـتمرار في الفـترة القادمـة كي أزور قبرها.

وهكـذا ظـل هـذا يتكلـم ثـم يبـكي، وذاك يبـكي ثـم ينكلـم، واسـتمر الـكلام، والبـكاء مـن دون نهايـة، وقـد كنـت قلقًـا عـلى أمـي، لذلـك عندمـا دخلنـا في وقـت الظهـيرة، تركـت منزلهـم عائـدًا إلى قريتـي، وعندمـا رأتنـي أم "طَـمِ"، وأنـا أقـف أمـام قـبر "طَـمِ" في حالـة يُـرثى لهـا، شـعرت بالقلـق عـليَّ مـن العـودة وحيـدًا إلى قريتـي، فاصطحبتنـي إلى مدخـل قريتـي، وكلـما فكـرت في الفاجعـة التـي حدثـت لـ "طَـمِ"، أفكـر أكـثر، لم أسـتطع التوقـف عـن التفكـير عـما حـدث لهـا، ولم أسـتطع التوقـف عـن البـكاء، وكان ضمـير أمـي يهاجمهـا ويأنّبهـا عـلى مـا فعلـت، فتعتقـد أنهـا ارتكبـت جريمـة كبـيرة، وكانـت تبـدو أمـام عينـي مسـكينة، تسـتحق الشـفقة، ومنظرهـا وهـي عـلى هـذا الحـال جعلنـي لا أسـتطيع كبـح جـماح نفسي مـن البـكاء. وقـد تنبهـت إلى أن منظـري وأنـا ضعيـف أبـكي، سـوف يزيـد مـن أحـزان أمـي، لا أكـثر مـن ذلـك، فقـررت أن أسـتجمع قـوتي وأشـجع نفـسي بنفـسي كي أظهـر بمظهـر المتماسـك، مـن أجـل أن أخفـف عـن أمـي تلـك الفاجعـة، ولكـن بمـا أنـه لا يمكـن إظهـار مـا في القلـب، فقـد لاحظـت أمـي أننـي أتظاهـر بأننـي متماسـك، فشـعرت أنـه ليـس أمامـي إلا تـرك المنـزل والذهـاب إلى أي مـكان آخـر.

وكل يـوم ولمـدة أسـبوع كنـت أذهـب إلى قـبر "طَـمِ" في مدينـة "إتْشِـكَوَ"، وأزرع زهـور الأقحـوان البريـة حـول قبرهـا، وفي اليـوم الثامـن فتحـت قلبـي لأمـي وحدثتهـا عـما في داخـلي مـن مشـاعر، بغيـة أن تشـعر بالراحـة والسـكينة والطمأنينـة والهـدوء، ثـم قـررت قـرارًا لا رجعـة فيـه، وهـو أن أرحـل عـن القريبـة متجهًـا إلى المدرسـة في المدينـة.

تزوجـتْ "طَـمِ" دون رغبتهـا، فرحلـت عـن هـذا العـالم بسرعـة، وتزوجـتُ أنـا مـن دون رغبتـي، ولكنـي مـا زلـت حيًّـا. ماتـت "طَـمِ" وهـي تضـع يدهـا عـلى قلبهـا ممسـكة بصـورتي ورسـالتي.

رحلت "طَمِ" عن هذا العالم إلى الأبد، ولكنها لم ترحل عن قلبي أبدًا.

نبذة عن المؤلف

الاسم الحقيقي: "إطُو قُجِرُو".

الاسم كمؤلف: "إطُو صَتْشِؤ".

الجنسية: ياباني.

تاريخ الميلاد: 18/9/1864.

محل الميلاد: محافظة "تْشِبَ".

تاريخ الوفاة: 30/7/1913.

العمل: صاحب مزرعة وشاعر وقاص.

اللغة التي يستخدمها في الكتابة: اللغة اليابانية.

آخر مرحلة تعليمية وصل إليها: الجامعة (جامعة ميجي).

مجال التأليف: الشعر الياباني المسمى "طَنْقَ" والقصة.

أسلوب الكتابة: رومانسي.

أهـم الأعـمال: زهـرة الأقحـوان البريـة، زوجـة الجـار، مـد وجـزر الربيع، فروع العائلة.

أهم المعلومات عن حياته:

وُلِـد "إِطُـو" في قريـة "طُنُـضَي"، التابعـة لمدينـة "صَنمُـشِ"، بمحافظـة "تْشِـبَ"، لعائلـة تعمـل في مجـال زراعـة الأرض، رغـم أن والـده كان عالِمًـا في مجـال الكتابـة باللغـة الصينيـة التـي كانـت تُسـتخدم حينـذاك لتدويـن اللغـة اليابانيـة. كان "إِطُـو" محبًّـا للشـعر اليابـاني المُسـمّى "وَكَ"، وهـو شـعر يتكـوَّن البيـت فيـه مـن مجموعـة مفـردات، المفـردة الأولى مـن خمسـة حـروف والثانيـة مـن سـبعة، والثالثـة مـن خمسـة، والرابعـة مـن سـبعة والخامسـة أيضًـا مـن سـبعة، ولذلـك يُقـال عنـه شـعر 57577، وبعـد أن تخـرّج في المدرسـة الابتدائيـة، واصـل تعليمـه في مدرسـة خاصـة بتعليـم الكتابـة، كي يتقـن فـن الكتابـة أكـثر، وكان محبًّـا لعمـل المناقشـات والمناظـرات، وكانـت شـخصيته حماسـية، وقـد واصـل تعليمـه إلى أن التحـق بالمدرسـة العليـا للقانـون في عـام 1881م، التـي أصبحـت فيـما بعـد مشـهورة جـدًّا في اليابـان، وتغـيَّر اسـمها إلى جامعـة ميجـي، ولكـن في أثنـاء وجـوده في الجامعـة أصيـب بمـرضٍ في عينـه، جعلـه يـترك الدراسـة في الجامعـة بعـد مـرور ثمانيـة أشـهر فقـط، فعـاد للعمـل في المزرعـة وظـل يعمـل كل يـوم مـن الصبـاح الباكـر إلى منتصـف الليـل كي يسـتطيع الاسـتقلال ماديًـا عـن الأسرة، وحـدث هـذا لاحقًـا، فبعـد مـرور عـدة سـنوات مـن العمـل الشـاق اسـتطاع تكويـن رأسـمال، وافتتـح مزرعة تربيـة ماشـية في سـن السادسـة والعشريـن في مدينـة قريبـة، وقـام بعمـل منتجـات الألبـان مـن نتـاج تلـك المزرعـة وبيعهـا في الأسـواق، وبعـد أن اسـتقرت أمـور العمـل، بـدأ في تعلُّـم فـن كتابـة الشـعر اليابـاني "وَكَ"، وتعلُّـم فـن عمـل طقـوس الشـاي اليابـاني، وتعـرف عـلى الكثـير مـن محبـي تلـك الفنـون، وفي عـام 1898 كتـب نقـدًا في صحيفـة اليابـان عـن شـعر

"وَكَ" التقليـدي، داعيًـا إلى شـعرٍ حديـثٍ، واشـتعلت المناقشـات والجـدل بسـبب مـا كتـب، في عـام 1900 تعـرَّف عـلى الشـاعر الكبـير وعالِـم اللغـة اليابانيـة "مَصَـؤكَ شِـكِ"، وأصبـح مـن أتباعـه، رغـم أن ذلـك الشـاعر أصغـر منـه بثـلاث سـنوات، لكنـه كان يكتـب شـعرًا حديثًـا، وداوم عـلى حضـور صالونـه الـذي كان يُعقـد مـرة شـهريًا، ثـم كتـب ديـوان شـعر بأسـلوب يسـير يسـتطيع قراءتـه الشـخص العـادي، وذلـك تأثـرًا بـ "مَصَـؤكَ شِـكِ"، وبذلـك يكـون قـد بـدأ حركـة شـعرية جديـدة، وبعـد أن مـات "مَصَـؤكَ شِـكِ"، أقـام صالونًـا أدبيًّـا، وفي عـام 1906 كتـب قصـة "زهـرة الأقحـوان البريـة"، بأسـلوب التصويـر الواقعـي متأثـرًا بـ "مَصَـؤكَ شِـكِ"، ثـم بعـد ذلـك اسـتكمل كتابـة بقيـة قصصـه، وفي عـام 1913 حـدث لـه تزيـف في المـخ، مـما أدى إلى وفاتـه.

وقـد تـم إنشـاء متحـف لـه بجانـب منزلـه، حيـث يعـرض فيـه مؤلفاتـه ومقتنياتـه، وفي عـام 1991 تـم إنشـاء حديقـة عامـة باسـمه، وأقيـم تمثـال لبطـل وبطلـة قصـة "زهـرة الأقحـوان البريـة" في الحديقـة، وفي بعـض محطـات القطـار وكذلـك في بعـض المـدارس توجـد أحجـار تذكاريـة عليهـا شـعره.



نبذة عن المترجم

ماهر أحمد محمد الشربيني:

مترجم مصري من مواليد عام 1959، أستاذ متفرغ بجامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة اليابانية وآدابها، وهو الثاني عشر عالميًّا الذي يحصل على درجة الدكتوراه في اللغة اليابانية، وأول من حصل على درجة الدكتوراه في كلية آداب جامعة هيروشيما، سواء من الطلاب اليابانيين أو الأجانب، وأول عربي يحصل على درجة الدكتوراه في اللغة اليابانية، وأعلى درجة علمية بين الأساتذة المتخصصين في اللغة اليابانية على مستوى العالم العربي، وأول أجنبي يصبح أستاذًا معارًا إلى جامعة يابانية يقوم بتدريس اللغة اليابانية إلى اليابانيين والصينيين والكوريين، بجانب الحصول على الكثير من شهادات ودروع وميداليات وكؤوس تقدير.

التخصص الدقيق:

نحو اللغة اليابانية الحديثة، التخصص العام: علم اللغة اليابانية. التخرج في جامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة اليابانية وآدابها عام 1981، وحصل على درجة الماجستير عام 1989، والدكتوراه عام 1992 في جامعة هيروشيما. ترجم العديد من الأعمال عن اللغة اليابانية من أهمها: مذكرات مصابي قنبلة هيروشيما، الفتى الطائش، قلب الأستاذ، قطار المجرة، الانطلاق من الصفر، أنا قط (3 أجزاء)، سلسلة جن الحافي (10 أجزاء)، أجراس ناجازاكي، شموع الجثة.



زهرة الأقحوان البرية

أحرقت ابنة بائع السمك منزلها فقط كي تقابل حبيبها، ولكننا لم نفكر حتى في أي حل، لم يكن لدينا المعرفة والحكمة كي نجاهد من أجل أن نتزوج ونعيش معًا في منزل واحدٍ، إلى هذا الحد كان حبنا طفوليًا، بريئًا وضعيفًا، لا يستطيع الدفاع عن نفسه، كما كنا نحن أيضًا ضعفاء ونخشى أولياء أمورنا، ونخفي حبنا عن إخوتنا، ولا نستطيع أن نُظهِر دموعنا أمام الاخرين.

أشهر وأهم قصة رومانسية كلاسيكية في اليابان، تحولت إلى الكثير من الأفلام و المسرحيات وأفلام الانمي والمسلسلات والقصص المصورة، وبيع منها ملايين النسخ.

في عام 1991 تم إنشاء حديقة عامه في اليابان باسم "إطُو صَتْشِؤ" وأقيم فيها تمثالان لبطل وبطلة رائعته زهرة الأقحوان البرِية.







ISBN 978-977-313-961-2

المحروسة